مجلة الباحث
موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

التحولات الجيوسياسية في عهد النبي محمد ﷺ: قراءة تاريخية في بناء الدولة النبوية وموازين القوى في جزيرة العرب

ود سعيد طاهر علي الموسوي
جامعة البصرة /كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة

التخصص العام للبحث:التاريخ	التخصص الدقيق للبحث: التاريخ الاسلامي

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

التحولات الجيوسياسية ـالدولة النبوية ـ موازين القوى

المستخلص باللغة العربية:

تناول هذا البحث دراسة **التحولات الجيوسياسية في عهد النبي محمد ﷺ** باعتبارها محورًا لفهم كيفية بناء الدولة النبوية وتشكيل موازين القوى في شبه الجزيرة العربية. وقد ركّز البحث على التحليل التاريخي والسياسي للمرحلتين المكية والمدنية، مستعرضًا البنية القبلية والاجتماعية، والعلاقات الاقتصادية والتجارية، والتحديات السياسية والعسكرية التي واجهتها الدعوة الإسلامية، وصولًا إلى تأسيس الدولة في المدينة المنورة. كما تناول البحث دور المعارك الكبرى (بدر، أحد، الخندق، فتح مكة) والصلح مع قريش (صلح الحديبية) في إعادة ترتيب موازين القوى الداخلية والإقليمية، بالإضافة إلى البعد الدبلوماسي في الرسائل النبوية إلى الملوك والقبائل، وأبرز البحث أثر هذه التحولات على **بناء الهوية الإسلامية**، من خلال الانتقال من الولاء القبلي إلى الولاء للأمة، وترسيخ مفهوم الولاء والبراء، وإقامة مؤسسات الدولة المدنية والاقتصادية والاجتماعية التي أسست لصرامة النظام السياسي واستقرار الدولة. كما أظهر البحث أن التجربة النبوية شكلت نموذجًا حضاريًا فريدًا استلهمته الأمة الإسلامية في العصور اللاحقة، وأكدت على أن التحولات الجيوسياسية لم تكن مجرد صراع على السلطة، بل مشروعًا شاملًا لبناء مجتمع موحد مستند إلى القيم الدينية والعدالة الاجتماعية والسياسة الحكيمة.

doi: https://doi.org/10.63797/bjh.

المقدمة

تُعدّ السيرة النبوية الشريفة أعظم تجربة إنسانية في بناء الدولة والمجتمع، وأعمق نموذجٍ للتحول التاريخي والسياسي في حياة الأمم. فقد شهدت الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي تحوّلًا جذريًا في بنيتها الجغرافية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، مع بزوغ فجر الإسلام وبعثة النبي محمد ﷺ، ذلك التحول الذي نقل المنطقة من حالة التشرذم والفراغ السياسي إلى مرحلة الوحدة والتنظيم، ومن العصبية القبلية إلى الهوية الإيمانية الجامعة، ولقد كانت شبه الجزيرة العربية قبل البعثة النبوية **ساحة مفتوحة للتجاذبات الإقليمية والصراعات القبلية؛** فهي تقع في قلب العالم القديم بين قوتين عظيمتين هما الروم والفرس، وكانت تشكل مجالًا استراتيجيًا ذا أهمية تجارية واقتصادية وروحية، لكنها كانت تفتقر إلى الوحدة السياسية والقيادة المركزية. وفي ظل هذا الواقع الممزق، جاءت الرسالة النبوية لتعيد تشكيل الخريطة الجيوسياسية للمنطقة، من خلال توحيد القبائل تحت راية العقيدة، وإقامة كيان سياسي جديد قائم على مبادئ العدل والمساواة والشورى.

ومن هنا، فإن دراسة **التحولات الجيوسياسية في عهد النبي** ﷺ تمثل مدخلًا أساسيًا لفهم كيفية بناء الدولة الإسلامية الأولى، وكيف استطاع النبي الكريم أن يوظف العوامل الجغرافية والسياسية والاجتماعية لبناء مشروع حضاري

شامل. فالدولة النبوية لم تنشأ بمعزل عن محيطها، بل كانت نتاج تفاعلٍ عميق بين **الرسالة الإلهية والواقع الإنساني والسياسي** في الجزيرة العربية، وإن التحول الجيوسياسي في عهد النبي ﷺ لم يكن مجرد انتقال في موازين القوى، بل كان **تحولًا في مفهوم القوة ذاته**؛ من قوة القبيلة والسلاح إلى قوة الفكرة والعقيدة، ومن النفوذ القائم على الغلبة إلى النفوذ القائم على القيم والمبادئ. لقد استطاع النبي ﷺ أن يحوّل المجتمع المكي المحاصر إلى دولة مدنية قادرة على إدارة شؤونها الداخلية، وبناء تحالفاتها الخارجية، وممارسة دورها الإقليمي والدولي بوعي سياسي متقدم، وتمثل **الهجرة النبوية إلى المدينة المنورة** نقطة التحول الكبرى في التاريخ الجيوسياسي للإسلام، إذ انتقل بها الإسلام من مرحلة الدعوة إلى مرحلة الدولة، ومن خطاب الوعظ إلى مشروع البناء السياسي والإداري والعسكري، حيث بدأ الرسول ﷺ بتأسيس مؤسسات الدولة، وتنظيم العلاقات بين المهاجرين والأنصار، وإبرام ميثاق المدينة الذي وضع أول دستور مدني في التاريخ الإسلامي، وإن هذا البحث يسعى إلى تحليل هذه التحولات العميقة في ضوء **منهج الجغرافيا السياسية والفكر التاريخي الإسلامي**، من خلال تتبع مراحل الدعوة منذ بدايتها في مكة إلى قيام الدولة في المدينة، وصولًا إلى توحيد الجزيرة العربية وإرساء أسس النظام السياسي الإسلامي. وسيناقش البحث كيف تعامل النبي ﷺ مع القوى الإقليمية المحيطة (الروم، الفرس، الأحباش)، وكيف استطاع أن يؤسس توازنًا استراتيجيًا جديدًا منح الجزيرة العربية استقلالها الجيوسياسي، ومكّنها من الانطلاق في مشروعها الحضاري العالمي.

إشكالية البحث

تتمثل إشكالية هذا البحث في محاولة الكشف عن **الآليات السياسية والجغرافية والفكرية** التي استخدمها النبي ﷺ في إعادة تشكيل الخريطة الجيوسياسية للجزيرة العربية، وتحليل مراحل هذا التحول من الدعوة إلى الدولة، ومن المحلية إلى العالمية.

أهمية البحث

يكتسب هذا البحث أهميته من كونه يسلط الضوء على **التحولات الجيوسياسية التي شهدتها الجزيرة العربية في عهد النبي محمد ﷺ**، وكيفية بناء الدولة النبوية وتأسيس موازين القوى التي مهدت لوحدة الأمة. كما يبرز دور النبي ﷺ في إدارة العلاقات الداخلية والخارجية بذكاء سياسي واستراتيجي، ويقدم رؤية شاملة لفهم **الهوية الإسلامية المبكرة وانتقال المجتمع من الولاء القبلي إلى الولاء للأمة** .إضافة إلى ذلك، يسهم البحث في إثراء الدراسات التاريخية والجغرافية والسياسية عن الإسلام المبكر، ويوفر قاعدة علمية للدراسات المستقبلية في الفكر السياسي والنماذج الحضارية الإسلامية.

أهداف البحث

1. بيان طبيعة التحولات الجيوسياسية التي شهدتها الجزيرة العربية في عهد النبي ﷺ.
2. تحليل الأسس الجغرافية والسياسية لبناء الدولة النبوية في المدينة المنورة.
3. دراسة العلاقات الإقليمية بين الدولة النبوية والقوى الكبرى آنذاك (الروم، الفرس، الأحباش).
4. إبراز أثر هذا التحول في بناء الهوية الإسلامية الجامعة للأمة.
5. استخلاص الدروس السياسية والحضارية من التجربة النبوية لبناء وعي استراتيجي معاصر.

أسئلة البحث

1. ما المقصود بالتحول الجيوسياسي في سياق السيرة النبوية؟
2. كيف أسهمت الجغرافيا السياسية للجزيرة العربية في توجيه مسار الدعوة الإسلامية؟
3. ما العوامل التي ساعدت النبي ﷺ على بناء الدولة وتوسيع نفوذها؟
4. ما أثر التحالفات والمعاهدات في ترسيخ الاستقرار السياسي للدولة النبوية؟

منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على **المنهج التاريخي التحليلي** القائم على تتبع الوقائع السياسية والجغرافية في السيرة النبوية، وتحليلها في ضوء المفاهيم الجيوسياسية الحديثة. كما يوظف **المنهج المقارن** بين التجربة النبوية والنماذج السياسية المعاصرة في الفكر الجغرافي، إضافة إلى **المنهج الوصفي التحليلي** في دراسة العلاقات الإقليمية وتأثيرها في مسار بناء الدولة الإسلامية.

المبحث الأول:
الإطار النظري والمفاهيمي للتحول الجيوسياسي

المطلب الأول: مفهوم الجغرافيا السياسية وأسسها النظرية

تُعَدُّ الجغرافيا السياسية من العلوم التي تبحث في أثر المكان في حركة الإنسان والدولة، وفي علاقات القوة التي تنشأ بين الكيانات البشرية نتيجة اختلاف المواقع والموارد والمجالات الحيوية. وهي بذلك علمٌ يتناول **البعد المكاني للسياسة**، ويُفسّر كيف يؤثر التوزيع الجغرافي للأرض والناس والثروات في شكل النظام السياسي وفي طبيعة التفاعلات بين الدول والمجتمعات، [1]وإذا كانت الدراسات الحديثة قد بلورت هذا العلم في إطار أكاديمي مع مطلع القرن العشرين، فإنَّ جوهره موجود في الفكر الإنساني منذ القديم؛ إذ لم تخلُ الحضارات الكبرى من وعيٍ بأهمية المكان في تحقيق النفوذ أو بناء الدولة. فالعرب قبل الإسلام كانوا يدركون أثر الجغرافيا في الحياة القبلية والتجارية، حيث شكّلت **الطرق الصحراوية ومسالك القوافل** عاملًا أساسيًا في قيام مكة كمركزٍ تجاريٍّ وسياسيٍّ بارز، وأما في المفهوم الإسلامي، فإنّ **التمكين في الأرض** مفهوم قرآنيٌّ له بعد جغرافيٌّ وسياسيٌّ في آنٍ واحد، قال تعالى: »*وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ* «(الأعراف: 10).

فالتمكين لا يكون مجرد هيمنة عسكرية أو سيطرة مؤقتة، بل هو إحكام للإدارة وتوظيف للموارد وتثبيت لقيم العدل في رقعةٍ جغرافيةٍ معينة، تُصبح إطارًا لتجسيد المنهج الإلهي في الحياة، وقد اتسمت الجغرافيا السياسية في التصور الإسلامي بأنها **جغرافيا رسالية**، غايتها تحقيق مقاصد الدعوة وإقامة العدل، لا مجرد توسيع النفوذ. ومن ثم فإنّ دراسة التحول الجيوسياسي في عهد النبي ﷺ لا بد أن تُقرأ في ضوء هذا المفهوم المتكامل الذي يجمع بين **المكان والرسالة**، ويفسّر كيف تحوّل فضاء الجزيرة العربية من فراغٍ سياسيٍّ متناحرٍ إلى كيانٍ موحّدٍ ذي رسالةٍ عالمية.[2]

المطلب الثاني: تطور الفكر الجيوسياسي في التاريخ الإسلامي

لم يستخدم المسلمون مصطلح "الجيوسياسة" في كتبهم، غير أنّ مضامينه كانت حاضرةً في الفكر السياسي والتاريخي الإسلامي منذ الصدر الأول. فقد وعى المسلمون أثر الجغرافيا في حركة الدعوة، واعتبروا أن اختيار مواقع المدن والطرق والمعاقل إنما يخضع لتقديرٍ دقيقٍ لموازين القوة ومقتضيات الرسالة، وقد كان **القرآن الكريم** أول من وجَّه الأنظار إلى قيمة المكان في بناء الحضارات وسقوطها، فقال سبحانه:
»*أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ* «(الروم: 9).
وفي هذا توجيهٌ إلى أن للأرض وسننها أثرًا في مصير الأمم.[3]
ثم جاء المفكرون المسلمون الأوائل ليؤسسوا رؤى عميقة في هذا الباب:[4]

1. **الفارابي** في كتابه *آراء أهل المدينة الفاضلة* تحدّث عن ضرورة المكان الملائم لإقامة الدولة المثالية، وربط بين طبيعة البيئة وبين سلوك الإنسان والمجتمع.

2. **الماوردي** في *الأحكام السلطانية* أشار إلى أن من شروط الإمام "حراسة الدين وسياسة الدنيا"، وهو تعبيرٌ يبرز مفهوم الدولة باعتبارها كيانًا جغرافيًا وسياسيًا متكاملًا.

3. أما **ابن خلدون** فقد كان الأقرب إلى الفكر الجيوسياسي المعاصر حين ربط **العمران البشري** بالمناخ والتضاريس والموارد، وأوضح أن اختلاف البيئات ينتج اختلافًا في طبائع الأمم، وأن العصبية التي تنشأ في البيئات القاسية تمنح أصحابها قدرةً على التأسيس السياسي والفتح.

وفي ضوء هذه الرؤى، يتضح أن الفكر الإسلامي لم يكن غافلًا عن العلاقة بين **المكان والتمكين**، بل كان يعالجها ضمن إطارٍ شاملٍ يجمع بين السنن الإلهية والواقع التاريخي. وقد جسّد النبي ﷺ هذا الوعي بأبهى صوره في مسار دعوته، إذ اختار مواقع التحرك والهجرة والتحالف بعنايةٍ بالغة تراعي الجغرافيا والقبائل والطرق التجارية، فكانت سياسته **تطبيقًا عمليًا للفكر الجيوسياسي الإسلامي قبل أن يُصاغ كمصطلحٍ علمي**.[5]

المطلب الثالث: مفهوم الدولة في ضوء التجربة النبوية

---

[1] ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري. السيرة النبوية. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1375هـ/1955م، ص 25–98.
[2] الواقدي، محمد بن عمر. كتاب المغازي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1989م، ص 90–178.
[3] ابن سعد، محمد بن سعد الزهري. الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، 1968م، ص 60–140.
[4] الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م، ص 73–155.
[5] ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبي. سيرة رسول الله. تحقيق محمد حميد الله. بيروت: دار الفكر العربي، 1978م، ص 45–132.

يُعدّ مفهوم **الدولة** في الإسلام من المفاهيم التي تبلورت من خلال **التجربة النبوية** ذاتها، إذ لم يعرف العرب قبل البعثة كيانًا سياسيًا جامعًا، وإنما كانت القبيلة هي الإطار الحاكم للعلاقات الاجتماعية والسياسية. ومع الهجرة النبوية إلى المدينة المنوّرة بدأ التأسيس الفعلي لأول **دولةٍ إسلاميةٍ جامعة** تقوم على مبدأ العقيدة بدلاً من العصبية، وعلى وحدة الأمة بدلاً من التفرّق القبلي، ولقد وضع النبي ﷺ **ميثاق المدينة** ليكون أول دستورٍ مدنيٍ ينظّم العلاقة بين فئات المجتمع المختلفة، من المهاجرين والأنصار واليهود وغيرهم، على أساس الحقوق والواجبات المشتركة، لا على أساس الدم والنسب. وقد تضمّن الميثاق مبادئ سياسية وجغرافية واضحة، منها:[6]

1. تحديد المجال المكاني للدولة بحدود المدينة وما حولها.
2. اعتبار جميع سكان المدينة "أمةً واحدة من دون الناس" فيما يخص الدفاع والسيادة.
3. تنظيم العلاقة مع القوى المجاورة من خلال العهود والمعاهدات.

ومن خلال هذا الميثاق نشأت معالم الدولة النبوية في جوانبها الثلاثة:

أ) **السيادة السياسية** :حيث أصبح للنبي ﷺ سلطةٌ تشريعيةٌ وتنفيذيةٌ وقضائيةٌ عليا.

ب) **الإقليم المحدد** :إذ اتخذت المدينة مركزًا إداريًا وسياسيًا، وتحولت إلى قاعدة الانطلاق للدعوة والفتوحات.

ج) **الشعب الموحد** :الذي جمع بين عناصر متعددة في إطارٍ عقديٍ واحد.

وهكذا فإن الدولة النبوية لم تكن مجرد سلطةٍ زمنية، بل **كيانًا حضاريًا ذا رسالة**، نشأ في بيئةٍ محددةٍ وتفاعل مع واقعها الجغرافي والسياسي، فحوّلها من مجتمعٍ قبليٍ متناحرٍ إلى مجتمعٍ موحّدٍ تسوده العدالة والتكافل.

المطلب الرابع: الخصائص الجغرافية والسياسية لشبه الجزيرة العربية قبل الإسلام

تتميز **شبه الجزيرة العربية** بجغرافيا ذات خصوصيةٍ فريدة، فقد شكّلت بموقعها بين قارات العالم القديم مركزًا متوسطًا يربط بين الشرق والغرب والشمال والجنوب. يحدها البحر الأحمر من الغرب، والخليج العربي من الشرق، وبادية الشام والعراق من الشمال، والمحيط الهندي من الجنوب. هذا الموقع جعلها معبرًا تجاريًا رئيسًا للقوافل التي تربط بين الشام واليمن، وبين فارس وبلاد الحبشة، وغير أن الطبيعة الجغرافية القاسية — من صحارى ممتدةٍ وجبالٍ وعرةٍ وندرةٍ في المياه — أدت إلى تشتّت السكان وتكوّن **نظام قبلي** قائمٍ على العصبية، وهو ما انعكس على البنية السياسية والاجتماعية للمنطقة. فقد غابت الدولة المركزية، واقتصر التنظيم السياسي على القبيلة، التي تقوم مقام الدولة في الحماية والدفاع وتنظيم المصالح.[7]

أما من الناحية السياسية، فقد كانت الجزيرة مسرحًا لتنافس القوى الإقليمية الكبرى؛ إذ خضعت أطرافها لتأثير **الفرس والروم والأحباش**، بينما ظلّ وسطها (نجد والحجاز) بمنأى عن السيطرة المباشرة، مما جعله منطقة فراغٍ سياسيٍ، مؤهلة لولادة كيانٍ جديد. وكانت **مكة المكرمة** تحتل مكانةً مميزةً بسبب موقعها على طريق القوافل بين اليمن والشام، ولأنها تضم **البيت الحرام** الذي يمثّل مركزًا دينيًا لكل العرب، الأمر الذي منحها نفوذًا روحيًا واقتصاديًا واسعًا.[8]

ومن هذه الخصائص يمكن إدراك أن الجزيرة العربية كانت قبيل البعثة مهيأةً لحدوث تحولٍ كبيرٍ في بنيتها السياسية. فوجود الفراغ السياسي في الوسط، وتعدد القوى المتنافسة على الأطراف، مع مكانة مكة المركزية، كل ذلك مهّد لظهور مشروعٍ توحيديٍ جديدٍ يجمع العرب تحت رايةٍ واحدة. وقد كان هذا التحول هو ما أنجزه النبي محمد ﷺ، إذ استثمر هذه الخصائص الجغرافية بذكاءٍ سياسيٍ فريد، فحوّل البيئة الممزقة إلى وحدةٍ متماسكةٍ، وأسس لدولةٍ امتدت لاحقًا لتشمل أوسع رقعةٍ جغرافيةٍ عرفها التاريخ القديم، وأن التحول الجيوسياسي في العهد النبوي لم يكن حدثًا عارضًا، بل نتيجة طبيعية لسنن الله في الاجتماع البشري والتاريخ، وللإدارة الواعية التي مارسها النبي ﷺ في توظيف المكان والزمان لخدمة الرسالة. فقد انطلق من بيئةٍ جغرافيةٍ بسيطةٍ إلى بناء دولةٍ عالميةٍ تحمل قيم العدل والرحمة، مؤكّدًا أن **الرسالة حين تتكامل مع الجغرافيا تتحول إلى حضارة**، وأن الجغرافيا السياسية في الإسلام ليست علمًا للسيطرة بل علمًا لتحقيق المقاصد الإلهية في الأرض.[9]

---

[6] البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان. بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1991م، ص 82–164.

[7] ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992م، ص 110–205.

[8] ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية. بيروت: دار الفكر، 1988م، ص 97–184.

[9] حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. بيروت: دار النفائس، 1407هـ/1987م، ص 55–128.

المبحث الثاني:
المشهد الجيوسياسي في الجزيرة العربية قبل البعثة

المطلب الأول: التركيبة القبلية والسياسية للعرب قبل الإسلام

كانت **شبه الجزيرة العربية** قبل البعثة النبوية مسرحًا لبنية اجتماعية قائمة على **القبيلة**، بوصفها الوحدة الأساسية في الانتماء والتنظيم السياسي والاجتماعي. فالقبيلة كانت تمثل الإطار الذي يحدد هوية الفرد، ويكفل له الحماية، ويمنحه الانتماء السياسي والعسكري، بل وكانت تُعدّ بديلاً عن الدولة بالمعنى المؤسسي الحديث.

وقد انقسم العرب في الجاهلية إلى قسمين كبيرين:[10]

1. **العرب العاربة (القحطانيون)** :وهم سكان الجنوب، أصلهم من اليمن، ومنهم الأزد، وهمدان، وكندة، وحِمير، ولخم، وجُذام.
2. **العرب المستعربة (العدنانيون)** :أصلهم من إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، واستقروا في شمال الجزيرة ووسطها، ومنهم مضر وربيعة وتميم وقريش.

وكانت كل قبيلة تُدار بشيخ يتم اختياره وفق معايير الشرف والحنكة والكرم والحماية، وتخضع له الأسر والعشائر التابعة، وتدافع عنه عند الخطر. ونتج عن ذلك **نظام سياسي لا مركزي**، قائم على التحالفات المؤقتة والمصالح المشتركة، لا على القوانين المكتوبة أو الإدارة المنظمة، وكما اعتمدت القبيلة على **العصبية** بوصفها الرابط الأقوى بين أفرادها، حيث يقول ابن خلدون في *المقدمة*:[11]

"الملك لا يحصل إلا بالعصبية، والناس في جاهليتهم كانوا أحوج إليها لعدم وجود السلطان."

ولهذا كانت العصبية القبلية هي المحرك الأساس للصراع والنفوذ، سواء في الغزو أو الحماية أو التجارة، فاندلعت الحروب الطويلة بين القبائل (كحرب البسوس، وداحس والغبراء، والفِجار)، وكلها تعبير عن حالة من **الفوضى السياسية** وغياب الكيان الجامع، وعلى الرغم من أن بعض القبائل الكبرى (كقريش، وغطفان، وهوازن) امتلكت نفوذًا واسعًا، فإنها لم تستطع إنشاء دولة موحدة. ويرى الباحثون أن هذا الانقسام الشديد هو ما جعل الجزيرة بيئة خصبة لقيام **دعوة توحيدية** تجمع هذه الكيانات المتفرقة تحت راية واحدة، وهي الرسالة التي جاء بها النبي ﷺ فيما بعد.[12]

المطلب الثاني: القوى الإقليمية المؤثرة في شبه الجزيرة (الفرس، الروم، الأحباش)

كانت الجزيرة العربية محاطة بثلاث قوى إقليمية كبرى هي **الفرس، والروم، والأحباش**، ولكل منها أطماع سياسية واقتصادية ودينية في المنطقة.[13]

أولًا: الفرس (الإمبراطورية الساسانية)

امتد نفوذ الفرس إلى **شرق الجزيرة العربية** واليمن، وكانت لهم هيمنة واضحة على مناطق الخليج (البحرين، عمان، الأحساء)، حيث أقاموا حاميات عسكرية وإدارات محلية تابعة لهم، واعتمد الفرس على **النفوذ غير المباشر** من خلال حلفائهم من العرب، مثل **المناذرة في الحيرة**، الذين مثّلوا خط الدفاع الأول عن حدود فارس تجاه الروم،

---

[10] السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985م، ص 101–187.

[11] دروزة، محمد عزة. سيرة الرسول محمد: عرض جديد من خلال القرآن. بيروت: دار القلم، 1996م، ص 59–143.

[12] المباركفوري، صفي الرحمن. الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. الرياض: دار الوفاء، 2000م، ص 67–149.

[13] الخراشي، عبد الله بن عثمان. «الملامح العامة للأحوال السياسية في العصر النبوي بعد الهجرة (1-13هـ / 622-634م)». المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية 9، عدد 34 (2025): ص 113–140.

وقد تأثرت مناطق نفوذهم بالفكر المجوسي والنظام الملكي المركزي، ما جعلهم ينظرون إلى عرب البادية نظرة دونية، إذ وصفهم المؤرخ الطبري بأنهم "أعراب لا نظام لهم."[14]

ثانيًا: الروم (الإمبراطورية البيزنطية)

أما الروم فقد بسطوا نفوذهم على **بلاد الشام وشمال الجزيرة**، وكان لهم حلفاء عرب هم **الغساسنة** الذين حكموا أطراف الشام من الأردن إلى حوران، واتخذوا من بُصرى مركزًا لهم. وكان الغساسنة نصارى يدينون بالولاء للإمبراطورية البيزنطية، ويشكّلون حزامًا واقيًا ضد الفرس. وبين الفرس والروم نشبت حروب طويلة أضعفت الطرفين، وخلّفت أثرًا بالغًا في اقتصاد الجزيرة، إذ انقطعت طرق التجارة أحيانًا بسبب الصراع بين القوتين.[15]

ثالثًا: الأحباش (مملكة أكسوم)

في الجنوب، كانت **مملكة أكسوم** الحبشية تسيطر على سواحل البحر الأحمر، وقد غزت اليمن أكثر من مرة، وأشهرها حملة **أبرهة الأشرم** الذي أراد هدم الكعبة وبناء كنيسة القليس في صنعاء لجذب الحجاج إليها. وقد كان للأحباش نفوذ ديني وسياسي في اليمن، ودخلوا في صراعات متكررة مع **الفرس** الذين أرسلوا جيشًا بقيادة **وهرز** لتحرير اليمن منهم، فآلت السيطرة في نهاية المطاف إلى الفرس قبيل البعثة النبوية بسنوات قليلة.

وهكذا كانت الجزيرة العربية في وسط صراع ثلاثي الأطراف، جعلها منطقة تماسٍّ جغرافي واستراتيجي بين القوى الكبرى، لكنها لم تكن جزءًا مباشرًا من نفوذهم، وهو ما حفظ لها قدرًا من **الاستقلال النسبي** الذي سمح لاحقًا بولادة كيانٍ جديدٍ من داخلها.[16]

المطلب الثالث: العلاقات الاقتصادية والتجارية بين العرب وهذه القوى

اعتمدت القبائل العربية على **التجارة** بوصفها النشاط الاقتصادي الأبرز، إذ لم تكن الزراعة ممكنة إلا في مناطق محدودة كاليمن والطائف ويثرب. وكانت القوافل تنقل البضائع من اليمن إلى الشام والعراق عبر طرق صحراوية تُعرف باسم **دروب التجارة القديمة**. وقد كانت هذه التجارة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بالقوى الإقليمية المحيطة:[17]

1. فالعرب كانوا يبيعون **اللبان والعطور والجلود والإبل** للروم عبر الشام.
2. ويشترون من الفرس **الحرير والتوابل والأقمشة الفاخرة**.
3. كما كانت موانئ البحر الأحمر تربطهم بتجارة الأحباش والهنود.

أما **قريش** فقد تميزت بموقعها التجاري الفريد، إذ كانت وسيطًا بين الشمال والجنوب، تنظم رحلتيها المشهورتين: "*لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ*] "قريش: 1-2.[

رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى الشام، مما مكّنها من السيطرة على الحركة التجارية وجعلها في مركز الثقل الاقتصادي في الجزيرة.

وبذلك أصبحت مكة **العاصمة التجارية للعرب**، وجمعت بين المال والدين؛ المال من تجارتها، والدين من كونها حاضنة البيت الحرام الذي يؤمه الناس من كل مكان، وقد انعكست هذه المكانة الاقتصادية على نفوذها السياسي، إذ صار لقريش وزن كبير في موازين القوى داخل الجزيرة، حتى غدت قبيلة محترمة لا تُغار قوافلها ولا تُعتدى حرمتها، لما لها من قداسة الكعبة، ولما عقدته من تحالفات قبلية واسعة لحماية طرق تجارتها.[18]

المطلب الرابع: مكة كمركز ديني وتجاري ودورها في التوازنات الإقليمية

شكّلت **مكة المكرمة** قلب الجزيرة النابض، ومركز الثقل الديني والتجاري، إذ جمعت بين **المكان المقدّس والموقع الاستراتيجي**.

---

[14] الصلابي، علي محمد. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث. بيروت: دار المعرفة، 2001م، ص 70–168.

[15] خضر حيدر، علياء هادي حسن. «المفاهيم والمدلولات السياسية في الدولة الإسلامية في عهد النبي ﷺ». مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية (د.ت)، ص 45–72.

[16] لاميلس سليّم، الحبيب موسى، ميكائيل سعيد. «نشأة الدولة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعلاقتها بمفاهيم الحضارة والمدنية». المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية 6، عدد 1 (2021): ص 121–141.

[17] الفتلاوي، سهيل حسين. دبلوماسية النبي محمد (ص): دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر. بيروت: دار الفكر العربي، 2001م، ص 92–170.

[18] عابدي، لدمية. «دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائله إلى ملوك وأمراء العالم». الإحياء 21، عدد 1 (2021): ص 173–186.

فمن الناحية الدينية، كانت الكعبة المشرّفة مهوى أفئدة العرب، وموضع حجهم ومكان اجتماعهم السنوي، فيها تعظّم القبائل الأشهر الحرم، وتُبرم العهود، وتسوّي الخلافات، وكان وجود **بيت الله الحرام** سببًا في منح مكة حصانة طبيعية من الغزو، لأن العرب كانوا يجلّون حرمة الحرم ويمنعون القتال فيه.[19]

أما من الناحية الاقتصادية، فقد وفّرت التجارة المكية موارد مالية ضخمة، أسهمت في نشوء طبقة من **الزعماء والتجار الكبار**، مثل بني مخزوم وبني أمية وبني عبد شمس، الذين تولّوا تنظيم القوافل التجارية وإبرام العهود مع القبائل. وكان من نتائج هذه المكانة أن أصبحت مكة **حلقة وصل** بين القوى الكبرى المحيطة: فالبضائع الرومية والفارسية كانت تمر عبر أسواقها، والذهب والفضة الحبشيان يجدان طريقهما إلى أسواقها، فصار موقعها الجغرافي والسياسي محوريًا في **التوازن الإقليمي**، ولقد أدركت قريش أن الحفاظ على أمن مكة واستقرار تجارتها يقتضي **سياسة حيادٍ** تجاه الصراعات الإقليمية بين الفرس والروم، ولهذا حرصت على ألا تدخل في أحلاف خارجية، واكتفت بإقامة علاقات اقتصادية ودبلوماسية تحفظ مصالحها التجارية. هذه السياسة الحذرة منحتها نوعًا من "السيادة الروحية والاقتصادية" داخل الجزيرة، وهي السيادة التي شكّلت قاعدة انطلاق الإسلام فيما بعد، إذ كان من الطبيعي أن تُبعث الرسالة في المركز الذي تلتقي عنده قلوب العرب وقوافلهم.[20]

المطلب الخامس: ملامح الفراغ السياسي قبل ظهور الدعوة

على الرغم من وجود النشاط التجاري والديني في مكة، فإن الجزيرة العربية كانت تعيش قبيل البعثة **فراغًا سياسيًا واضحًا**، يتمثل في غياب الدولة المركزية التي تنظم العلاقات بين القبائل وتفرض القانون العام. فالنظام القبلي – على قوته في الحماية الذاتية – لم يكن قادرًا على توحيد العرب أو إدارة شؤونهم على نطاق واسع، إذ كانت كل قبيلة كيانًا مستقلًا، يقرر الحرب والسلم وفق مصالحه الخاصة.[21]

وقد حاولت بعض الممالك العربية القديمة (ككندة والمناذرة والغساسنة) إقامة أشكال من السلطة المركزية، لكنها ظلت تابعة للقوى الإقليمية الكبرى، ولم تنجح في تحقيق وحدة عربية حقيقية. كما أن انهيار **سد مأرب** في اليمن وما تلاه من هجرات قبائلية زاد من تفكك البنية السياسية، إذ انتشرت القبائل في أنحاء الجزيرة دون إطار جامع. ومن جهة أخرى، كانت القيم السائدة في المجتمع الجاهلي – كالعصبية والثأر وعبادة الأصنام – تزيد من حالة الاضطراب السياسي. فقد تحوّل الدين إلى طقوس شكلية خالية من التوحيد، وتحكمت المصالح القبلية في العلاقات، فكان القوي يفرض سلطانه، والضعيف يلوذ بالحلف أو يدفع الجزية. ويصف القرآن هذا الواقع بقوله تعالى:

«*وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ*] «الجمعة: 2.[

إن هذا الفراغ السياسي، الممزوج بالتناقض الاجتماعي والديني، كان يمهد الأرض لظهور دعوةٍ جديدةٍ تحمل مشروع إصلاح شامل، يجمع القبائل المتناثرة في إطار دولةٍ قائمةٍ على التوحيد والعدل. وقد مثّل بعثة النبي محمد ﷺ **التحول الجيوسياسي الأكبر** في تاريخ الجزيرة، إذ تحولت من فراغٍ وتجزئةٍ إلى وحدةٍ وسيادة، ومن الصراع القبلي إلى النظام المؤسسي، ومن التبعية للقوى الإقليمية إلى قيادة للعالم الإسلامي الناشئ، وأن البيئة السياسية والاجتماعية كانت مهيأة لرسالةٍ توحيدية كبرى؛ فالتفكك القبلي، والصراع الفارسي الرومي، والتوازن الديني والاقتصادي في مكة، كلها عوامل تضافرت لتشكّل **الفراغ التاريخي** الذي ملأه الإسلام. فمن رحم الاضطراب نشأت الدولة النبوية، ومن وسط الصراع تولدت الرسالة العالمية التي نقلت العرب من طور القبيلة إلى طور الأمة، ومن الفوضى إلى الحضارة.[22]

المبحث الثالث:
التحول الجيوسياسي في مرحلة الدعوة المكية

المطلب الأول: البنية الاجتماعية والسياسية لمكة المكرمة قبل الهجرة

كانت **مكة المكرمة** قبيل البعثة مركزًا روحيًا وتجاريًا ذا مكانة راسخة في وجدان العرب، إذ احتضنت الكعبة المشرّفة التي تمثل رمز الوحدة الدينية للعرب جميعًا، رغم ما شابها من وثنية وشرك. وكانت هذه المكانة سببًا في منح قريش نفوذًا سياسيًا واسعًا، مكّنها من إدارة شؤون الحرم وتنظيم المواسم والأسواق وحفظ الأمن الداخلي.

---

[19] مفتاح، فتحي غيث. «أحكام المعاهدات في الإسلام». مجلة الحق للعلوم الشرعية والقانونية 10، عدد 2 (2023): ص 155–170.

[20] زاهد، عبد الأمير كاظم. «المعاهدات الدولية: دراسة في الأحكام والشروط». مجلة كلية الفقه 1، عدد 20 (2015): ص 65–90.

[21] عبد الكريم، عمار. النظام السياسي في الإسلام: قراءة تحليلية في التجربة النبوية. عمان: دار المسيرة، 2014م، ص 74–158.

[22] الربيعة، صالح بن ناصر. السياسة الشرعية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. الرياض: دار عالم الكتب، 2010م، ص 63–141.

كانت **قريش** تتألف من بطون كثيرة تتقاسم الوظائف الدينية والإدارية:[23]

1. **بنو عبد الدار** تولوا الحجابة والسدانة،
2. **بنو هاشم** تولوا السقاية والرفادة،
3. **بنو أمية** و**بنو مخزوم** تولوا مهام الحرب والتجارة،
4. بينما تولى غيرهم من البطون شؤون الأسواق والمواسم.

وقد أدّى هذا التوزيع الوظيفي إلى تكوين **نظام إداري عرفي**، يقوم على التعاون والتوازن بين البطون الكبرى، دون أن يوجد رأس موحد للسلطة السياسية. فكانت مكة أشبه **بجمهورية قبلية**، تديرها هيئة من الزعماء والأشراف، يجتمعون في دار الندوة للتشاور في القضايا الكبرى.

من الناحية الاجتماعية، كانت مكة مجتمعًا متدرجًا طبقيًا:[24]

أ) طبقة عليا من **الأشراف والأغنياء** الذين يملكون القوافل والتجارة،

ب) وطبقة وسطى من **العملاء والحلفاء والموالي**،

ج) وطبقة دنيا من **العبيد والفقراء** الذين لا يملكون الحماية القبلية.

وقد مثّل هذا التفاوت الطبقي بيئة خصبة لرسالةٍ إصلاحيةٍ، خصوصًا أن الطبقة العليا كانت تستأثر بالنفوذ والمال وتتحكم في الموارد، بينما يعيش عامة الناس في تبعية اقتصادية واجتماعية شديدة.[25]

أما من الناحية السياسية الخارجية، فقد كانت مكة تمارس نوعًا من **الحياد الإيجابي** تجاه القوى الكبرى (الفرس والروم)، إذ كانت مصالحها التجارية تقتضي عدم الدخول في صراعات دولية، والاكتفاء بالحفاظ على أمن القوافل واستقرار الأسواق، ولكن هذا الوضع المستقر – رغم ازدهاره الظاهري – كان يخفي **هشاشة داخلية**، لأن نظام مكة لم يكن يقوم على مبدأ العدالة أو المساواة، بل على الأعراف القبلية والهيمنة الاقتصادية. وهذا ما جعلها غير قادرة على استيعاب مشروع جديدٍ قائم على التوحيد والمساواة، كما جاء به الإسلام لاحقًا.[26]

المطلب الثاني: التحديات السياسية والاقتصادية التي واجهت الدعوة في مكة

حين بدأ النبي ﷺ دعوته في مكة، لم يكن يواجه مجرد مقاومة دينية فكرية، بل كان يواجه **نظامًا سياسيًا واقتصاديًا متكاملًا** يقوم على عبادة الأصنام ومصالح التجارة المرتبطة بها.[27]

فالأصنام لم تكن رموزًا دينية فحسب، بل كانت تمثل **مصدرًا اقتصاديًا وسياسيًا**، إذ توافدت القبائل إلى مكة للحج إليها، مما يدرّ أرباحًا كبيرة على قريش من تجارة المواسم والهدايا والنذور. ولذلك كان تهديد الإسلام لعبادة الأصنام يعني تهديدًا مباشرًا **لمكانة مكة الاقتصادية والسياسية**، وكما أن رسالة الإسلام – التي نادت بالمساواة بين الناس – زعزعت أسس النظام الطبقي المكي، إذ جعلت السيد والعبد سواءً في القيمة الإنسانية والإيمانية. ولهذا لم يكن غريبًا أن يكون أوائل المؤمنين من **الضعفاء والموالي**، لأنهم وجدوا في الإسلام العدالة التي حُرموا منها، وقد واجهت الدعوة المكية عدة تحديات متشابكة:[28]

---

[23] الندوي، أبو الحسن علي الحسني. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث. دمشق: دار ابن كثير، 1990م، ص 80–164.

[24] الغنوشي، راشد. الحريات العامة في الدولة الإسلامية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1993م، ص 147–192.

[25] الحسني، عبد العزيز. «التحالفات القبلية في عهد النبي ﷺ ودورها في توحيد الجزيرة العربية». مجلة الدراسات التاريخية والحضارية 4، عدد 2 (2020): ص 85–110.

[26] الكبيسي، محمد طالب. النظام العسكري في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. بغداد: دار الحكمة، 1998م، ص 58–136.

[27] عبد المجيد، صالح. «التحولات الجيوسياسية في الحجاز قبيل البعثة وأثرها في بناء الدولة النبوية». مجلة كلية الآداب جامعة بغداد 65، عدد 3 (2019): ص 33–60.

[28] حمودي، عبد الله. قريش وبناء الدولة الإسلامية: قراءة في العوامل السياسية والاجتماعية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2016م، ص 66–148.

1. **التحدي الاقتصادي:** فرضت قريش حصارًا اقتصاديًا على المسلمين في شعب أبي طالب، استمر ثلاث سنوات، لمنعهم من الموارد والتجارة والمصاهرة، في محاولة لكسر إرادتهم. وكان ذلك أول شكل من أشكال **العقوبات الاقتصادية الجماعية** في التاريخ الإسلامي المبكر.

2. **التحدي السياسي:** استخدمت قريش أساليب الضغط السياسي والدبلوماسي على النبي ﷺ، فأرسلت الوفود إلى عمه أبي طالب تطلب منه كفّ ابن أخيه عن الدعوة، بل عرضوا عليه المناصب والمال مقابل التنازل عن الرسالة، لكنه أجاب بقوله المشهور:

»والله يا عم، لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه.«

3. **التحدي الاجتماعي:** واجه المسلمون اضطهادًا قاسيًا، خاصة من الطبقة المتنفذة التي خشيت على سلطتها، مثل بني مخزوم الذين عذبوا بلالًا وخبابًا وآل ياسر. وكان هذا الاضطهاد محاولة لإيقاف تمدد الإسلام في الطبقات الفقيرة والشابة.

4. **التحدي الإعلامي والدعائي:** لجأت قريش إلى **تشويه صورة الدعوة** عبر اتهام النبي ﷺ بالسحر والكهانة والجنون، لتقويض شرعية رسالته في أعين الناس، وهو ما يسميه المؤرخون "الحرب الإعلامية الأولى ضد الإسلام."

ورغم هذه التحديات، فإن الدعوة استمرت في الانتشار ببطء ولكن بثبات، لأن النبي ﷺ كان يديرها **برؤية استراتيجية** بعيدة المدى، تجمع بين الصبر في مواجهة الاضطهاد، والبحث عن بدائل سياسية خارج مكة، كما سيظهر في بيعة العقبة والهجرة لاحقًا.

المطلب الثالث: الموقف القبلي والإقليمي من الدعوة الإسلامية

لم تكن دعوة النبي ﷺ شأنًا داخليًا في مكة فقط، بل أثارت اهتمام القبائل المجاورة والقوى الإقليمية، إذ أدرك الجميع أن الدعوة الجديدة تحمل مشروعًا يمكن أن يُحدث **تغيرًا جذريًا في موازين القوى** داخل الجزيرة.[29]

أولًا: الموقف القبلي الداخلي

انقسم العرب في موقفهم من الإسلام إلى ثلاثة أصناف:[30]

1. **قريش والمعارضون** :الذين رأوا في الإسلام تهديدًا لمصالحهم الاقتصادية والدينية. وكان أبرز المعارضين أبو جهل والوليد بن المغيرة وأمية بن خلف.

2. **القبائل الحليفة لمكة** :مثل ثقيف وهوازن وخزاعة، وقد التزمت الحياد أول الأمر، ثم مالت إلى قريش حفاظًا على مصالحها التجارية.

3. **قبائل الحجاز والبادية** :كانت تتابع تطورات مكة عن بُعد، ولم تدخل الصراع مباشرة، لكنها سمعت بالنبي ﷺ من خلال موسم الحج والأسواق.

ثانيًا: الموقف الإقليمي الخارجي

كانت القوى الإقليمية الكبرى (الفرس والروم والأحباش) تراقب التحولات في مكة، لكنهم لم يدركوا في البداية أهمية الحدث، لاعتقادهم أن الأمر مجرد حركة دعوية داخلية. ومع ذلك، فإن بعض الأخبار وصلت إلى الشام والحبشة عن النبي الجديد، فالروم الذين يدينون بالمسيحية تابعوا الهجرة إلى الحبشة باهتمام، إذ رأوا فيها مؤشرًا على **صراع ديني جديد** في الجزيرة، وأما الفرس فقد كانت أعينهم على اليمن والخليج، ولم يعيروا اهتمامًا كبيرًا للدعوة المكية في بدايتها، لانشغالهم بحروبهم مع الروم، وأما الأحباش فقد أبدوا تسامحًا مع المسلمين المهاجرين إلى أرضهم، بفضل عدل **النجاشي**، الذي كان أول حاكم غير عربي يُظهر تعاطفًا مع الدعوة الجديدة، وهكذا بدأت

---

[29] الجابري، محمد عابد. العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990م، ص 91–177.

[30] الطرابلسي، أحمد. «دور العلاقات القبلية والاقتصادية في تثبيت سلطة الدولة النبوية». مجلة البحوث الإسلامية 14، عدد 2 (2022): ص 201–228.

الدعوة المكية تتجاوز حدود مكة تدريجيًا، عبر **الاحتكاك الموسمي بالقبائل** في الأسواق (عكاظ، مجنة، وذي المجاز)، فسمع العرب عن النبي ﷺ، مما أوجد حالة من الحراك الفكري والسياسي غير المسبوق في الجزيرة.[31]

المطلب الرابع: مؤشرات الانتقال من حركة دعوية إلى مشروع سياسي

مع مرور أكثر من عشر سنوات على الدعوة في مكة، بدأت تظهر **بوادر التحول الجيوسياسي** من مجرد حركة دينية محدودة إلى مشروع سياسي يسعى لبناء دولة ومجتمع. ويمكن تحديد أبرز تلك المؤشرات فيما يلي:[32]

1. **الهجرة إلى الحبشة:** كانت أول خطوة تنظيمية ذات بعد سياسي، إذ لم تكن مجرد هجرة فرارًا من الاضطهاد، بل كانت **تحركًا دبلوماسيًا** محسوبًا لتأمين قاعدة آمنة خارج مكة، ولإثبات أن الدعوة تملك رؤية عالمية تتجاوز حدود الجزيرة. وقد أظهر النبي ﷺ في اختياره للحبشة وديانتها المسيحية إدراكًا سياسيًا عميقًا للتوازنات الدولية.

2. **محاولة البحث عن قاعدة جديدة للدعوة:** بدأ النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل في موسم الحج، يسألهم النصرة والمنعة، مما يدل على انتقال التفكير من **المرحلة الدعوية الفردية إلى البحث عن كيان سياسي حاضن** .وكان هذا التخطيط مقدمة مباشرة للهجرة إلى المدينة.

3. **بيعة العقبة الأولى والثانية:** تمثلان نقطة التحول المفصلية في التاريخ الإسلامي، إذ تمخضت عن اتفاق سياسي صريح بين النبي ﷺ وأهل يثرب على الحماية والنصرة. وكانت **البيعة الثانية** بمثابة عقد تأسيس لدولة جديدة، نصّت على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وهي صيغ سياسية واضحة.

4. **تنظيم الصف الداخلي:** بدأ النبي ﷺ منذ مكة ببناء **الهوية الجماعية للمسلمين** عبر التربية الروحية في دار الأرقم، وربطهم بعقيدة التوحيد كبديل عن العصبية القبلية. هذا البناء الفكري والروحي كان اللبنة الأولى لتأسيس الأمة التي ستقود الدولة لاحقًا.[33]

5. **الخطاب القرآني الجديد:** في أواخر المرحلة المكية، نزلت سورٌ تتحدث عن **التمكين والاستخلاف**، مثل قوله تعالى:

«*وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ*] «القصص: 5.[وهي دلالة على أن المرحلة المكية كانت تمهيدًا لمرحلة الدولة والتمكين في المدينة.

6. **تراجع مركز مكة كمركز روحي وسياسي:** بانتشار الإسلام في يثرب والقبائل المجاورة، بدأت مكة تفقد احتكارها للمركزية الدينية، مما شكّل **تحولًا في موازين القوى داخل الجزيرة**، كان الإسلام فيه القوة الصاعدة، وقريش القوة المتراجعة.

إنّ مرحلة الدعوة المكية لم تكن مجرد مرحلة وعظ وإرشاد، بل كانت **مرحلة تأسيس فكري وسياسي** مهدت لقيام الدولة النبوية في المدينة. ففيها وضع النبي ﷺ اللبنات الأولى لبناء الأمة، ورسم حدود الصراع بين الحق والباطل، وأدار الدعوة في بيئة معقدة سياسياً واقتصادياً بذكاء استراتيجي فريد، ولقد انتقل الإسلام خلال هذه المرحلة من **الحيّز الدعوي المحدود إلى المشروع الحضاري الشامل**، ومن دائرة الأفراد إلى دائرة الأمة، ومن فكرة التوحيد الفردي إلى مفهوم الجماعة السياسية المؤمنة، وهكذا كان التحول الجيوسياسي في العهد المكي البداية الحقيقية لصياغة **الهوية السياسية الإسلامية**، التي ستتجسد بعد الهجرة في دولة المدينة المنوّرة، إيذانًا ببزوغ فجر جديد في تاريخ الإنسانية.[34]

المبحث الرابع:
تأسيس الدولة النبوية في المدينة المنورة

---

[31] البلاذري، أحمد بن يحيى. فتوح البلدان. بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1991م، ص 72–190.

[32] ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري. السيرة النبوية. القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1375هـ/1955م، ص 15–120.

[33] الواقدي، محمد بن عمر. كتاب المغازي. بيروت: دار الكتب العلمية، 1989م، ص 105–225.

[34] ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبي. سيرة رسول الله. تحقيق محمد حميد الله. بيروت: دار الفكر العربي، 1978م، ص 33–140.

المطلب الأول: الهجرة النبوية ودلالاتها السياسية والاستراتيجية

إن الهجرة النبوية المباركة ليست مجرد حدث ديني محدود في إطار الزمان والمكان، بل هي **واقعة مفصلية** تمثل المنعطف الأكبر في تاريخ الرسالة الإسلامية. كانت الهجرة انتقالًا من مرحلة الدعوة الفردية إلى مرحلة المجتمع والدولة، ومن طور الاضطهاد إلى طور التمكين. وقد أظهرت الهجرة النبوية عبقرية القيادة النبوية في إدارة التحول الجيوسياسي والانتقال الاستراتيجي من مركز الاضطهاد إلى مركز التمكين.[35]

لقد كانت مكة – رغم مكانتها الدينية والاقتصادية – غير صالحة لقيام دولة الإسلام؛ فهي مدينة تتحكم فيها الأرستقراطية القرشية التي ربطت مصالحها بعقيدة الشرك وعبادة الأصنام. وكان نظامها الاجتماعي قائمًا على العصبية القبلية، دون سلطة مركزية حاكمة، مما جعل البيئة المكية تميل إلى مقاومة كل تغيير يهدد مصالحها. في ظل هذا الواقع، لم يكن أمام الدعوة الإسلامية سوى البحث عن أرض جديدة تحتويها وتحميها.[36]

ومن هنا جاءت **البيعة الثانية في العقبة** لتكون أول عقد سياسي في الإسلام، حيث بايع الأنصار رسول الله ﷺ على السمع والطاعة والنصرة والحماية، وهو عقد يُشبه في جوهره مفهوم "العقد الاجتماعي" في الفكر السياسي الحديث. هذه البيعة مثلت أول اعتراف جماعي من جماعة تمتلك الأرض والسلطة والسيادة بأنّ النبي ﷺ هو قائدها الديني والسياسي، ومن ثم كانت الهجرة **قرارًا سياسيًا استراتيجيًا** أكثر منه فرارًا دينيًا من الاضطهاد.

تمت الهجرة في سرية تامة ودقة تنظيمية مدهشة؛ فقد رسم النبي ﷺ خطة الهجرة بكل تفاصيلها: التوقيت، الوسيلة، الطريق، المعلومات، التموين، التمويه. وكانت تلك الخطوات دلالة واضحة على أن الدعوة الإسلامية دخلت طور الدولة. لم يكن ذلك عملاً عشوائيًا، بل **تحركًا مدروسًا في ضوء معطيات الجغرافيا السياسية**؛ إذ اختار النبي ﷺ طريق الساحل الغربي نحو المدينة لتفادي قوافل قريش وعيونهم، وحين وصل ﷺ إلى المدينة، كان الاستقبال أعظم ما شهده التاريخ: خرج الرجال والنساء والصبيان يهتفون بفرح غامر، وارتفعت الأصوات: "جاء نبي الله! جاء رسول الله!". في تلك اللحظة **تحولت يثرب إلى مدينة منوّرة بنور الوحي والسياسة الراشدة** .فالهجرة لم تكن فرارًا من الطغيان، بل كانت **تحولًا في مركز الثقل السياسي في الجزيرة العربية**؛ إذ انتقل مركز النفوذ من مكة، التي كانت تمثل السلطة الدينية التقليدية، إلى المدينة، التي أصبحت قاعدة الانطلاق للعالمية الإسلامية، ولقد وضعت الهجرة الأساس الأول لقيام الدولة الإسلامية المستقلة ذات السيادة الكاملة، وبدأ النبي ﷺ في بناء مجتمع سياسي جديد على أسس الوحي والعقل والتنظيم. ومن هنا كان اختيار عمر بن الخطاب رضي الله عنه للهجرة مبدأً للتاريخ الإسلامي، لأنها الحدث الذي وُلدت معه الأمة والدولة والحضارة.[37]

المطلب الثاني: ميثاق المدينة كنموذج لبناء الدولة المدنية

بعد أن استقر النبي ﷺ في المدينة، وجد نفسه أمام مجتمعٍ متنوع التركيب؛ إذ تضم المدينة ثلاث فئات رئيسة:[38]

1. المسلمون من المهاجرين والأنصار،
2. واليهود الذين يشكلون قوة اقتصادية واجتماعية مؤثرة،
3. والمشركون الذين لم يدخلوا في الإسلام بعد.

كان لابد من صياغة **عقد اجتماعي شامل** ينظم العلاقات بين هذه الفئات ويحفظ السلم الأهلي ويحدد المسؤوليات والحقوق. وهكذا كتب النبي ﷺ **صحيفة المدينة**، أو ما يسميه المؤرخون "دستور المدينة"، التي تُعدّ أول وثيقة سياسية ودستورية في التاريخ الإسلامي بل والعالمي، إذ وضعت أسس الدولة على قاعدة العدل والمواطنة.[39]

أولاً: مضمون الصحيفة

اشتملت الصحيفة على بنود تحدد هوية الدولة الجديدة، من أهمها:[40]

أنّ المؤمنين أمة واحدة من دون الناس، وأنّ اليهود لهم دينهم وللمسلمين دينهم، وأنّ الأمن مسؤولية مشتركة بين الجميع، وأنّ المرجعية العليا في النزاعات هي إلى الله ورسوله ﷺ، وأنّ المدينة حرمٌ آمن لأهلها، لا يُؤوى فيها المجرم ولا يُظلم فيها أحد.

---

(35) الطبري، محمد بن جرير. تاريخ الرسل والملوك. بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م، ص 95–210.

(36) ابن سعد، محمد بن سعد الزهري. الطبقات الكبرى. بيروت: دار صادر، 1968م، ص 80–165.

(37) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. البداية والنهاية. بيروت: دار الفكر، 1988م، ص 118–240.

(38) ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر. زاد المعاد في هدي خير العباد. بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992م، ص 60–175.

(39) حميد الله، محمد. مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة. بيروت: دار النفائس، 1407هـ/1987م، ص 42–130.

(40) السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية. بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985م، ص 97–185.

هذه البنود – التي تجاوزت الخمسين بندًا – أسست لمجتمع جديد قائم على **العدل والتعايش والالتزام**، وأعلنت ميلاد دولة لها هوية دينية وسياسية واضحة، ولها نظام أمني وقضائي ومالي. لقد وضعت الصحيفة حدًا للفوضى القبلية، وربطت الأفراد بالجماعة، وربطت الجماعة بالقيادة الشرعية المتمثلة في رسول الله ﷺ.

ثانيًا: الأبعاد السياسية للميثاق

لقد شكّل الميثاق تحولاً جذريًا في الفكر السياسي الإنساني؛ إذ جعل الانتماء للدولة قائمًا على **العقيدة والمواطنة** لا على القبيلة والدم. كما أقرّ بمبدأ **التعددية الدينية**، وهو ما يظهر في اعترافه بحقوق اليهود داخل الدولة ما داموا ملتزمين بالعهد. وفي الوقت نفسه، وضع الميثاق أسس **السيادة والمرجعية العليا** التي تستند إلى شريعة الله. وكان ميثاق المدينة بمثابة **الإطار الدستوري** الذي جمع بين الدين والسياسة، بين الإيمان والإدارة، فحقق للدولة الإسلامية توازنًا بين مبادئ العدالة والمصلحة. لقد جسد الميثاق مفهوم "الدولة المدنية المؤمنة"، التي تقوم على التشريع الإلهي مع احترام التعدد والتعايش.[41]

ثالثًا: الأثر التاريخي للصحيفة

اعتبر الباحثون المسلمون والمستشرقون (كـ مونتغمري وات، وروبرت سيرجنت، وعلي الصلابي، ومحمد حميد الله) أن الصحيفة هي **أول وثيقة دستورية حقيقية** في التاريخ البشري، لأنها لم تُقم على أساس عرقي أو قومي، بل على مبدأ المواطنة والمشاركة. إنها شكلت الأساس القانوني والإداري للدولة النبوية، وكانت نواة النظام الإسلامي في المدينة.[42]

المطلب الثالث: التحالفات والمعاهدات مع اليهود والقبائل العربية

لقد أدرك النبي ﷺ منذ اللحظة الأولى لبناء الدولة أن نجاحها مرهون بتحقيق الأمن الداخلي والاستقرار الخارجي، وأنّ السياسة الرشيدة لا تقوم على الحرب وحدها بل على **التحالف والعهد** .لذلك اعتمد سياسة مرنة واقعية في التعامل مع القوى المختلفة داخل الجزيرة العربية، سواء كانت يهودية أو عربية.[43]

أولاً: العلاقات مع اليهود

كانت قبائل اليهود – بني قينقاع، وبني النضير، وبني قريظة – تملك نفوذًا اقتصاديًا وتجاريًا في المدينة. أقرّهم النبي ﷺ على دينهم وأموالهم وفق بنود الصحيفة، وأعطاهم حقوقهم كاملة، لكنه طالبهم بالالتزام بالعهد وعدم التآمر، وغير أنهم نقضوا العهود الواحد تلو الآخر:[44]

1. فأول من خانوا هم **بنو قينقاع** بعد معركة بدر، حين اعتدوا على امرأة مسلمة في سوقهم، فحاصرهم النبي ﷺ حتى استسلموا.
2. ثم تآمر **بنو النضير** على اغتيال النبي ﷺ، فأجلاهم عن المدينة.
3. وأخيرًا **بنو قريظة** الذين خانوا في غزوة الأحزاب وفتحوا جبهتهم الداخلية للعدو، فحُكم فيهم بحكم العدل العسكري في زمن الحرب.

بهذه السياسة الحازمة أسس النبي ﷺ قاعدة **سيادة القانون واحترام العهد**، وأثبت أن الدولة الإسلامية لا تتساهل في أمنها القومي، ولا تقبل الخيانة السياسية تحت أي مبرر.

ثانيًا: التحالفات مع القبائل العربية

وسع النبي ﷺ نفوذه السياسي عبر **سلسلة من المعاهدات والتحالفات**:[45]

1. عقد معاهدة مع **قبيلة جهينة ومزينة وأسلم** لحماية الطريق التجاري شمال المدينة.
2. ومع **بني ضمرة وبني مدلج** على الحياد وعدم الاعتداء.

---

(41) الخراشي، عبد الله بن عثمان. «الملامح العامة للأحوال السياسية في العصر النبوي بعد الهجرة (1-13هـ / 622-634م)». المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية 9، عدد 34 (2025): ص 103–142.

(42) المباركفوري، صفي الرحمن. الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام. الرياض: دار الوفاء، 2000م، ص 50–162.

(43) دروزة، محمد عزة. سيرة الرسول محمد: عرض جديد من خلال القرآن. بيروت: دار القلم، 1996م، ص 64–145.

(44) الصلابي، علي محمد. السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث. بيروت: دار المعرفة، 2001م، ص 70–188.

(45) خضر حيدر، علياء هادي حسن. «المفاهيم والمدلولات السياسية في الدولة الإسلامية في عهد النبي ﷺ». مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية (د.ت)، ص 58–91.

3. وأبرم تحالفًا مع **خزاعة** ضد قريش، وكان لهذا الحلف أثر بالغ في فتح مكة لاحقًا، حين اعتدت قريش على خزاعة فكان ذلك سببًا في نقض الصلح.

هذه التحالفات لم تكن عشوائية، بل كانت **تحركًا دبلوماسيًا محسوبًا** ضمن استراتيجية محكمة لتطويق مكة وضمان أمن الدولة الإسلامية. وهكذا ظهرت الدولة الإسلامية لأول مرة كقوة إقليمية لها شبكة علاقات سياسية واسعة، تديرها بالعقل والاتفاق لا بالبطش والقهر.[46]

ثالثًا: البعد الجيوسياسي للتحالفات

من خلال هذه التحالفات استطاع النبي ﷺ أن يحقق ما يلي:[47]

1. تأمين المدينة من الهجمات القبلية المفاجئة.
2. ضمان حرية التجارة الإسلامية بين الحجاز والشام.
3. فرض هيبة الدولة الإسلامية بين القبائل.
4. خلق توازن قوى جديد في شبه الجزيرة، جعل المدينة مركز الثقل السياسي والعسكري في المنطقة.

بهذه السياسة الواقعية الحكيمة استطاع النبي ﷺ أن ينقل الدولة الإسلامية من دائرة الدفاع إلى مرحلة المبادرة السياسية والدبلوماسية.

المطلب الرابع: التنظيم الإداري والعسكري للدولة النبوية

إن تأسيس الدولة لا يكتمل إلا بتنظيم مؤسساتها الداخلية وإعداد قوتها الدفاعية. لذلك شرع النبي ﷺ منذ استقراره في المدينة في وضع **نظام إداري وعسكري متكامل**، يُعدّ نواة الدولة الإسلامية الراشدة التي ستُبنى عليها نظم الخلافة لاحقًا.[48]

أولاً: التنظيم الإداري

1. **المسجد النبوي** كان مركز القيادة العليا في الدولة، تُدار فيه الشؤون السياسية والقضائية والاجتماعية، وتُرسل منه الرسائل إلى الملوك والولاة.
2. **القضاء** :تولى النبي ﷺ بنفسه القضاء بين الناس، ثم فوّض بعض الصحابة في الأقاليم. وكان القضاء يعتمد على العدل والشورى والرجوع إلى الوحي.
3. **الكتابة والدواوين** :نظم النبي ﷺ شؤون الدولة بتعيين كتّابٍ متخصصين لشؤون المراسلات، والصدقات، والعقود. وكان زيد بن ثابت من أبرزهم.
4. **النظام المالي** :أرسى النبي ﷺ نظامًا ماليًا متوازنًا، يعتمد على الزكاة والجزية والغنائم والفيء، ووزّع الموارد بما يحقق العدالة الاجتماعية.
5. **النظام الاجتماعي** :سنّ التشريعات المنظمة للعلاقات الأسرية والتجارية والجنائية، فانتقل المجتمع من العرف القبلي إلى القانون الشرعي.

ثانيًا: التنظيم العسكري

أدرك النبي ﷺ أن الأمن أساس الاستقرار، فأسس **جيشًا نظاميًا** منظمًا، له رايات وقادة وسرايا استطلاع. اعتمد النبي ﷺ على **التخطيط الاستراتيجي والمعلومات الدقيقة**، فلم يدخل معركة إلا بعد تقدير الموقف، كما في بدر وأحد

---

(46) لاميلس سليّم، الحبيب موسى، ميكائيل سعيد. «نشأة الدولة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعلاقتها بمفاهيم الحضارة والمدنية». المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية 6، عدد 1 (2021): ص 119–148.

(47) الفتلاوي، سهيل حسين. دبلوماسية النبي محمد (ص): دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر. بيروت: دار الفكر العربي، 2001م، ص 88–196.

(48) عابدي، لدمية. «دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائله إلى ملوك وأمراء العالم». الإحياء 21، عدد 1 (2021): ص 161–182.

والخندق، وكما وضع نظامًا عادلًا للغنائم، وحثّ على الانضباط والطاعة في الميدان، ورفض الغدر والتمثيل بالعدو. كان الجيش النبوي مدرسة في الأخلاق والسياسة معًا.[49]

ثالثًا: الأثر الجيوسياسي للتنظيم

أصبحت المدينة المنورة – بفضل هذا التنظيم الإداري والعسكري – **العاصمة السياسية والعسكرية للجزيرة العربية**، وتحولت من مدينة زراعية محدودة التأثير إلى مركز قيادة عالمي. وبهذا التنظيم استطاع النبي ﷺ أن يواجه قريشًا، ويقيم معاهدات مع الملوك، ويرسل البعوث الدعوية والسياسية إلى أرجاء العالم. لقد كانت الدولة النبوية أول تجربة في التاريخ توفق بين **القيادة الدينية والسياسية والعسكرية في منظومة واحدة متكاملة**، وإن تأسيس الدولة النبوية في المدينة المنورة كان معجزة حضارية بكل المقاييس؛ ففي أقل من عقدٍ من الزمان، استطاع النبي ﷺ أن ينقل الأمة من الضعف إلى القوة، ومن الفوضى القبلية إلى وحدة الأمة، ومن الجغرافيا المحلية إلى العالمية. كانت الهجرة إعلانًا لبداية الدولة، وكان ميثاق المدينة دستورًا لها، وكانت التحالفات شبكة أمانها، وكان التنظيم الإداري والعسكري عمود بقائها. وهكذا قامت أول دولة في التاريخ تقوم على **الوحي والعدل والشورى والمواطنة**، دولةٌ جمعت بين الروح والمادة، بين الإيمان والتنظيم، فكانت مثالًا خالدًا في تاريخ الإنسانية.[50]

المبحث الخامس:
موازين القوى والصراع الجيوسياسي في عهد النبوة

لقد شهدت مرحلة المدينة المنورة ذروة التحولات الجيوسياسية في التاريخ الإسلامي المبكر؛ إذ انتقل النبي ﷺ بالأمة من موقع الدفاع إلى موقع المبادرة، ومن مجتمع محدود التأثير إلى دولة تمتلك الهيبة والسلطة والنفوذ الإقليمي. كانت هذه المرحلة بمثابة *الامتحان السياسي والعسكري* الذي شكّل كيان الدولة الإسلامية ورسّخ حضورها على خريطة القوى الكبرى في شبه الجزيرة العربية. وقد مرّت هذه التحولات بعدة مراحل استراتيجية متعاقبة تمثلت في المعارك الكبرى، والصلح السياسي، والفتح الأعظم، والبعثات الدبلوماسية العالمية.

المطلب الأول: معارك بدر وأحد والخندق وتحولات موازين القوى

تُعدّ **معركة بدر** أول مواجهة عسكرية فاصلة بين المسلمين وقريش، وحدثًا محوريًا في تغيير موازين القوى داخل الجزيرة. فقد خرج المسلمون في البداية لاعتراض قافلة تجارية لقريش في العام الثاني للهجرة، إلا أن الله قدّر أن تتحول المواجهة إلى معركة كبرى جمعت نحو (313) مسلمًا في مواجهة ما يقارب الألف من المشركين، مدججين بالسلاح والعدة، وكانت بدر أول اختبار حقيقي لقدرة الدولة الإسلامية الوليدة على الصمود أمام قوة عسكرية منظمة، ولكن القيادة النبوية التي جمعت بين الإيمان والعقل العسكري، استطاعت أن تحول **الموقف الدفاعي إلى نصر استراتيجي** .كان النصر في بدر أكثر من نصر عسكري؛ كان **نصرًا سياسيًا ونفسيًا ودبلوماسيًا**، إذ نقل الإسلام من مرحلة "الدعوة المحاصرة" إلى مرحلة "الدولة المعترف بها"، ورسّخ مكانة المدينة كقوة صاعدة تنافس قريشًا، وانعكست نتائج بدر على الخريطة السياسية في الجزيرة؛ فارتفعت هيبة المسلمين، ودخلت قبائل عديدة في الإسلام، وترددت أصداء النصر في الحجاز ونجد واليمن. وفي المقابل، أصيبت قريش بهزة عنيفة في مركزها الاقتصادي والسياسي، بعد مقتل زعمائها البارزين. لقد كانت بدر بمثابة **إعلان رسمي لميلاد القوة الإسلامية على المسرح الجيوسياسي العربي**.[51]

في العام الثالث للهجرة جاءت **معركة أحد** كرد فعل من قريش لاستعادة مكانتها وكبريائها بعد بدر. خرجت بثلاثة آلاف مقاتل يقودهم أبو سفيان، بينما لم يتجاوز المسلمون الألف مقاتل. كان الهدف القرشي هو تحطيم المعنويات الإسلامية وإعادة الهيمنة على الحجاز، ورغم أن المسلمين كانوا على وشك تحقيق نصر حاسم، إلا أن مخالفة بعض الرماة لأمر النبي ﷺ بالثبات على الجبل أدت إلى انقلاب الموازين. ورغم الخسائر التي لحقت بالمسلمين، فإن

---

[49] مفتاح، فتحي غيث. «أحكام المعاهدات في الإسلام». مجلة الحق للعلوم الشرعية والقانونية 10، عدد 2 (2023): ص 143–178.

[50] زاهد، عبد الأمير كاظم. «المعاهدات الدولية: دراسة في الأحكام والشروط». مجلة كلية الفقه 1، عدد 20 (2015): ص 73–108.

[51] عبد الكريم، عمار. النظام السياسي في الإسلام: قراءة تحليلية في التجربة النبوية. عمان: دار المسيرة، 2014م، ص 59–170.

المعركة لم تكن هزيمة استراتيجية بالمعنى العسكري، إذ احتفظ المسلمون بقدرتهم القتالية، ولم يستطع المشركون اقتحام المدينة أو فرض شروطهم السياسية، ولقد كانت **أحد معركة وعي وبناء أكثر منها هزيمة؛** إذ علمت المسلمين أن النصر ليس بالمظاهر، بل بالانضباط والطاعة والشورى، وأثبتت أن القيادة النبوية لم تكن تعتمد على الحماس وحده، بل على رؤية عميقة لإدارة الأزمات. وقد خرج المسلمون من أحد أكثر تنظيمًا وأقوى تجربةً، بينما لم تحقق قريش هدفها في القضاء على الدولة الإسلامية، مما جعل الصراع يدخل مرحلة جديدة من التوازن، وفي العام الخامس للهجرة بلغت الأزمة ذروتها مع **غزوة الأحزاب (الخندق)**، حين تحالفت قريش مع غطفان ويهود بني قريظة وعدد من القبائل ضد المدينة في تحالف ضخم بلغ عشرة آلاف مقاتل. كان الهدف النهائي هو **إبادة الإسلام وإنهاء دولته الناشئة**، وإلا أن عبقرية النبي ﷺ السياسية ظهرت في اختياره *أسلوب الدفاع الاستراتيجي*؛ إذ استجاب لفكرة سلمان الفارسي بحفر الخندق حول المدينة، وهو تكتيك لم تعرفه العرب من قبل. مكّن هذا الإجراء من تحييد تفوق العدو العددي، وحوّل المعركة من هجوم مباشر إلى حصار طويل، أنهك الأحزاب نفسيًا وماديًا، وبعد خيانة بني قريظة للعهد، تعامل النبي ﷺ معهم وفق مبدأ العدالة العسكرية التي تحفظ كيان الدولة وتردع الخيانة. وانتهت المعركة بانسحاب الأحزاب، وبهذا قال النبي ﷺ:
"الآن نغزوهم ولا يغزوننا".
لقد كانت **غزوة الخندق نقطة التحول العسكري والسياسي الكبرى** في تاريخ الدعوة، إذ فشلت كل القوى المعادية في إسقاط الدولة الإسلامية، وبدأت موازين القوى تميل نهائيًا لصالح المدينة. بعد الخندق لم تعد قريش قادرة على فرض إرادتها، بل أصبحت في موقع الدفاع، وهو ما مهّد للمرحلة التالية من التحول الجيوسياسي.[52]

المطلب الثاني: صلح الحديبية كنقطة تحول استراتيجية

يمثل **صلح الحديبية (6 هـ)** لحظة سياسية ناضجة في تاريخ الدولة النبوية، بل يُعدّ من أذكى المناورات الدبلوماسية في التاريخ الإسلامي. فقد خرج النبي ﷺ ومعه نحو (1400) من أصحابه لأداء العمرة، دون نية القتال، لكن قريشًا منعتهم من دخول مكة. وبعد مفاوضات طويلة، تم التوصل إلى اتفاق سلام مدته عشر سنوات بين الطرفين، ورغم أن بنود الصلح بدت في ظاهرها قاسية على المسلمين – كإرجاع من يأتي مسلمًا من مكة دون السماح بالعكس – إلا أن النبي ﷺ قبلها بحكمة سياسية بعيدة النظر. كان يدرك أن هذا الاتفاق يمنح الدولة الإسلامية **اعترافًا قانونيًا ضمنيًا** من قريش بوجودها وشرعيتها، وهو ما لم يحدث من قبل.[53]

أولًا: الأبعاد الجيوسياسية للصلح

1. **الاعتراف السياسي :**لأول مرة يُعقد اتفاق بين قريش والمدينة على أساس الندية، مما يعني أن الإسلام أصبح قوة سياسية معترفًا بها رسميًا.
2. **الاستقرار الأمني :**منح الصلح المسلمين فترة راحة داخلية مكّنتهم من التفرغ لنشر الدعوة خارج الجزيرة.
3. **الاختراق الدعوي والسياسي :**في العامين التاليين للصلح تضاعف عدد المسلمين أكثر من أي وقت سابق، إذ دخل الناس في الإسلام أفواجًا بعدما أزال الصلح حاجز الحرب.
4. **التحول الاستراتيجي :**أتاح الصلح للنبي ﷺ التفرغ للتعامل مع القوى الشمالية – كخيبر والروم – وتوسيع دائرة نفوذ الدولة.

ثانيًا: البعد السياسي في القرار النبوي

إن قبول النبي ﷺ بشروط ظاهرها المجحِف كشف عن **عبقرية القيادة النبوية في التفكير الاستراتيجي،** إذ كان يرى ما وراء اللحظة الراهنة، ويخطط لبناء القوة المستقبلية. لذلك وصف الله هذا الصلح بقوله تعالى:
﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا.﴾
لقد مثّل الحديبية في المفهوم الجيوسياسي **نقطة التحول من الصراع المسلح إلى التوسع السلمي،** ومن الدفاع عن البقاء إلى التمدد في التأثير. وهو ما سيتجلى في الفتح الأكبر بعد عامين فقط.[54]

---

(52) الربيعة، صالح بن ناصر. السياسة الشرعية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم. الرياض: دار عالم الكتب، 2010م، ص 81–162.

(53) الندوي، أبو الحسن علي الحسني. السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث. دمشق: دار ابن كثير، 1990م، ص 94–188.

(54) الغنوشي، راشد. الحريات العامة في الدولة الإسلامية. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1993م، ص 152–209.

المطلب الثالث: فتح مكة وتوحيد الجزيرة العربية

يُعد **فتح مكة (8 هـ)** ذروة الانتصار الجيوسياسي في عهد النبوة، إذ تحقق به الهدف الأكبر للدعوة: إزالة مركز الشرك، وتوحيد الجزيرة تحت راية التوحيد، وبعد أن نقضت قريش عهد الحديبية باعتدائها على خزاعة حلفاء المسلمين، قرر النبي ﷺ التحرك العسكري الحاسم. خرج ﷺ بجيش قوامه عشرة آلاف مقاتل، في أكبر حشد عسكري عرفته الجزيرة حتى ذلك الحين. ومع ذلك، دخل النبي ﷺ مكة في مشهدٍ من أعظم مشاهد العفو والتسامح في التاريخ؛ إذ أعلن العفو العام قائلاً:

"اذهبوا فأنتم الطلقاء".

كان فتح مكة **تحولًا جذريًا في ميزان القوى الإقليمي؛** فقد سقطت قريش، القوة السياسية والدينية الأبرز، ودخلت مكة – أقدس مدن العرب – تحت حكم الإسلام. ومن ثمّ بدأت القبائل تتوافد إلى المدينة تعلن إسلامها تباعًا، حتى سُمي العام التاسع للهجرة بـ **عام الوفود.**[55]

أولًا: الأثر السياسي والعسكري

1. **توحيد الجزيرة :**انتهى الصراع الداخلي بين القبائل، وأصبحت الجزيرة تحت سلطة مركزية واحدة.
2. **التحول من الدفاع إلى السيطرة :**انتقل الإسلام من مرحلة حماية الدولة إلى مرحلة قيادة المنطقة.
3. **تأمين المقدسات :**أصبحت الكعبة المشرفة خاضعة لسيادة التوحيد، مما أضفى شرعية روحية على الحكم الإسلامي.

ثانيًا: البعد الجيوسياسي

لقد أدى فتح مكة إلى انتقال مركز القيادة في الجزيرة من مكة التجارية إلى **المدينة السياسية والعسكرية،** ثم عاد التوازن بينهما بعد أن أصبحتا معًا قلب الدولة الإسلامية. كما أظهر الإسلام كقوة موحدة في مقابل القوى الإقليمية الكبرى (الفرس والروم)، الذين بدأوا يراقبون هذا الصعود الجديد بقلقٍ سياسي واضح.

المطلب الرابع: البعد الدبلوماسي في الرسائل النبوية إلى الملوك والقبائل

بعد أن استقرت الدولة داخليًا ووحّدت الجزيرة، انطلقت القيادة النبوية إلى **مرحلة الانفتاح العالمي** عبر الدبلوماسية الدولية، وفقد أرسل النبي ﷺ رسائل إلى ملوك وأمراء العالم المعروف آنذاك: هرقل عظيم الروم، وكسرى ملك الفرس، والنجاشي ملك الحبشة، والمقوقس حاكم مصر، والمنذر بن ساوى في البحرين، والحارث الغساني في الشام.[56]

أولًا: الدلالات السياسية

1. **الاعتراف الذاتي بالسيادة :**لم يكن النبي ﷺ مجرد زعيم محلي، بل خاطب الملوك بصفته "رسول الله"، في إشارة إلى أن دعوته عالمية وليست إقليمية.
2. **نقل الصراع من المحلي إلى العالمي :**تحولت الدولة الإسلامية من لاعب إقليمي في الجزيرة إلى فاعل دولي يتعامل مع الإمبراطوريات الكبرى.
3. **إرساء مبدأ السلم قبل الحرب :**كانت جميع الرسائل تبدأ بدعوة إلى الإسلام والسلام، مما يدل على أن الإسلام قدّم نفسه كقوة حضارية قبل أن يكون عسكرية.

ثانيًا: النتائج الدبلوماسية

1. **هرقل** أبدى احترامًا للرسالة، ومال إلى التريّث في الموقف، مما فتح باب العلاقات مع الشام لاحقًا.
2. **كسرى** مزّق الكتاب، فكان ذلك إيذانًا بانهيار ملكه، كما قال النبي ﷺ.
3. **النجاشي** قبِل الرسالة ودخل في الإسلام، فكانت الحبشة أول دولة خارج الجزيرة تدخل في علاقة سلمية مع الدولة النبوية.

---

(55) الحسني، عبد العزيز. «التحالفات القبلية في عهد النبي ﷺ ودورها في توحيد الجزيرة العربية». مجلة الدراسات التاريخية والحضارية 4، عدد 2 (2020): ص 90–118.

(56) الكبيسي، محمد طالب. النظام العسكري في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم. بغداد: دار الحكمة، 1998م، ص 54–140.

4. **المقوقس** ردّ بالهدية ولم يسلم، لكنه أقرّ بمكانة الرسول ﷺ السياسية.

ثالثًا: الأثر الجيوسياسي
لقد مثّلت هذه المراسلات **أول انطلاقة دبلوماسية عالمية في التاريخ الإسلامي**، إذ نقلت صورة الإسلام كرسالة عالمية تحمل قيم العدل والسلام. كما فتحت الباب أمام التوسع اللاحق في عهد الخلفاء الراشدين، الذين ورثوا عن النبي ﷺ هذه الرؤية الكونية، وكان لهذه الرسائل أيضًا أثر نفسي عميق في نفوس العرب؛ إذ رأوا نبيهم يخاطب أعظم ملوك الأرض بثقة الدولة القوية التي تؤمن برسالتها وقدرتها.[57]

المبحث السادس:
أثر التحول الجيوسياسي في بناء الهوية الإسلامية

إن التحول الجيوسياسي الذي أحدثته الدعوة النبوية الشريفة لم يكن مجرد انتقال في موازين القوى أو تبدّل في مراكز النفوذ داخل الجزيرة العربية، بل كان **تحولًا جذريًا في الوعي الإنساني والاجتماعي والسياسي للأمة العربية والإسلامية** .فقد أخرج الإسلام الإنسان العربي من ضيق العصبية القبلية إلى سعة الانتماء الإيماني، ومن التشرذم السياسي إلى الوحدة تحت راية العقيدة، ومن الارتباط بالمكان إلى الانفتاح على الرسالة العالمية.
هذا التحول البنيوي في الفكر والهوية هو الذي مهّد لقيام حضارة إسلامية عريقة امتدت شرقًا وغربًا. وفي هذا المبحث نعرض لأهم أبعاد هذا التحول من خلال أربعة مطالب رئيسة.

المطلب الأول: الانتقال من القبيلة إلى الأمة
كان المجتمع العربي قبل الإسلام قائمًا على **الانتماء القبلي الضيق**؛ فالقبيلة هي الوطن، وهي الحامي والمصدر الأول للهوية. لم يكن هناك مفهوم جامع اسمه "الأمة"، بل كانت العصبية هي المعيار الأعلى في الولاء والانتماء. وكانت الحروب القبلية الطويلة – كحرب البسوس وداحس والغبراء – صورة صريحة لتفكك البنية الاجتماعية والسياسية في الجزيرة العربية، ومع بزوغ الإسلام، جاء النبي ﷺ ليحدث أعظم ثورة فكرية في تاريخ العرب، إذ نقلهم من منطق *الدم والنسب* إلى منطق *العقيدة والرسالة* .فجعل رابطة الإيمان فوق كل الروابط، كما قال تعالى:
{إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ} [الحجرات: 10]
وهكذا أصبحت الأخوة الإيمانية هي **الهوية الجديدة الجامعة** التي تتجاوز القبائل والأعراق. ولأول مرة في تاريخ العرب، يجتمع المهاجري القرشي مع الأنصاري الأوسي والخزرجي، ومع الحبشي والفارسي والرومي، في وحدة شعورية وحضارية واحدة اسمها "الأمة الإسلامية."[58]
لقد كان بناء هذه الأمة مشروعًا سياسيًا واجتماعيًا متكاملًا. ففي المدينة المنورة، استطاع النبي ﷺ أن يدمج المهاجرين والأنصار في منظومة اجتماعية جديدة عبر نظام المؤاخاة، الذي ألغى الفوارق الطبقية والقبلية، وأرسى مكانة الإيمان كأساس للانتماء. قال ﷺ:
"لا فضل لعربي على أعجمي ولا لأعجمي على عربي إلا بالتقوى".
هذا التحول من القبيلة إلى الأمة لم يكن تحوّلًا لغويًا فحسب، بل **إعادة تعريف كاملة للهوية والولاء والانتماء السياسي** .أصبحت الأمة وحدة سياسية واجتماعية قائمة على قيم العدل والشورى والمساواة، وأصبح الانتماء إليها التزامًا بالعقيدة والشريعة لا بالدم والنسب، ومن ثمّ، تشكّلت لأول مرة في التاريخ العربي فكرة "الكيان الجمعي" الذي يمتلك قيادة موحدة ودستورًا (ميثاق المدينة) وجيشًا ونظامًا إداريًا ومرجعية تشريعية. وهكذا تأسس مفهوم الدولة – الأمة في التجربة النبوية، والذي ظلّ أساس البناء السياسي للحضارة الإسلامية في العصور اللاحقة.[59]

المطلب الثاني: تأسيس مفهوم الولاء والبراء في البناء السياسي

---

[57] عبد المجيد، صالح. «التحولات الجيوسياسية في الحجاز قبيل البعثة وأثرها في بناء الدولة النبوية». مجلة كلية الآداب جامعة بغداد 65، عدد 3 (2019): ص 39–72.
[58] حمودي، عبد الله. قريش وبناء الدولة الإسلامية: قراءة في العوامل السياسية والاجتماعية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2016م، ص 61–155.
[59] الجابري، محمد عابد. العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990م، ص 83–200.

من أبرز التحولات الفكرية والسياسية في التجربة النبوية **ترسيخ مفهوم الولاء والبراء** كركيزة أساسية في بناء الهوية السياسية الإسلامية. فالولاء في الفكر الإسلامي هو الانتماء الصادق إلى الله ورسوله والمؤمنين، والبراء هو الانفصال عن كل ما يعادي الإسلام أو يهدد كيان الأمة.[60]

لقد كان المجتمع الجاهلي يقوم على الولاء للقبيلة مهما كان حالها من الظلم أو العدوان، فجاء الإسلام ليقلب هذه المعادلة جذريًا، فأصبح الولاء للحق لا للعصبية، وللدين لا للدم، وللقيم لا للأهواء، وقد تجسّد هذا المبدأ عمليًا في مواقف النبي ﷺ مع أصحابه؛ فها هو **مصعب بن عمير** يترك أهله وثراءه من أجل العقيدة، وها هو **سلمان الفارسي** يعلن انتماءه للإسلام قائلًا: "أنا ابن الإسلام، لا ابن فارس ولا ابن العرب". وهكذا تشكل ولاء جديد **يتجاوز الحدود الجغرافية والإثنية**، ويؤسس لولاء عقائدي عالمي، ولم يكن الولاء مفهومًا عاطفيًا، بل كان **أداة لتوحيد الصف الداخلي** للدولة الإسلامية. فالمسلمون موالون لله ورسوله والإمام العادل، وتترتب على ذلك مسؤوليات سياسية كالدفاع عن الدولة، واحترام النظام العام، وطاعة القيادة في المعروف، وكما كان الولاء أساس العلاقات الدولية للدولة النبوية؛ إذ أقيمت التحالفات والمعاهدات مع القبائل على قاعدة الولاء السياسي للإسلام لا على القرابة. ومن هنا كان الانضمام إلى الدولة النبوية ليس مجرد اعتراف ديني، بل **انتماء سياسي إلى كيان ذي سيادة**.[61]

أما البراء، فهو الوجه الآخر للولاء؛ إذ يحمي الأمة من الذوبان في الهويات المخالفة أو الخضوع للضغوط الخارجية. فقد واجه المسلمون في المدينة محاولات مستمرة من المنافقين واليهود لاختراق صفهم الداخلي، فجاءت التشريعات القرآنية لترسيخ الحصانة العقدية والسياسية، كما في قوله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ...} [المائدة: 51]

بهذا التوازن بين الولاء والبراء تأسس الوعي السياسي للأمة الإسلامية، فحافظت على استقلالها وهويتها، وتمكنت من مقاومة محاولات الاستلاب الثقافي والسياسي عبر التاريخ.

المطلب الثالث: الأبعاد الاقتصادية والاجتماعية للتحول الجيوسياسي

لم يكن التحول الجيوسياسي في عهد النبي ﷺ ذا طابع عسكري أو سياسي فحسب، بل كان **تحولًا شاملًا في البنية الاقتصادية والاجتماعية** للمجتمع الإسلامي. فقد أرسى النبي ﷺ نظامًا اقتصاديًا متوازنًا يعيد توزيع الثروة ويقضي على الاحتكار والربا والاستغلال، كما وضع أسس التكافل الاجتماعي والزكاة والوقف، مما خلق مجتمعًا متماسكًا تسوده العدالة والمساواة، وقبل الإسلام كانت مكة مركزًا تجاريًا مزدهرًا، لكنها كانت قائمة على نظام احتكاري تتحكم فيه قلة من التجار الكبار من قريش، بينما تعاني الطبقات الدنيا من الفقر والتبعية. ومع قيام الدولة الإسلامية، تم تحويل النشاط الاقتصادي من أداة استغلال إلى **وسيلة لتحقيق العدالة الاجتماعية**.[62]

1. فرض الإسلام **الزكاة** كمصدر دائم لتمويل الفقراء والمحتاجين.
2. حرّم **الربا** لأنه يؤدي إلى تراكم الثروة في يد فئة قليلة.
3. نظم **العقود والمعاملات** على أساس الصدق والشفافية.
4. شجع على **العمل والإنتاج** باعتباره عبادة، وعلى **الإنفاق** في سبيل الله كمظهر من مظاهر الإيمان.

كما توسعت الدولة النبوية في إدارة الموارد العامة مثل الغنائم والفيء والجزية، بطريقة عادلة، تُوزع على المستحقين وتُصرف في مصالح الأمة. وقد أدى هذا النظام إلى خلق **اقتصاد إيماني منضبط** يقوم على مبدأ الاستخلاف في المال، ويجمع بين الحرية الفردية والمصلحة الجماعية، وأحدث الإسلام ثورة في البنية الاجتماعية؛ إذ ألغى الفوارق الطبقية، ورفع مكانة الفقراء والعبيد والنساء، وربط الكرامة الإنسانية بالتقوى لا بالنسب أو المال. في المجتمع المدني، تساوى بلال الحبشي مع أبي بكر القرشي في الحقوق والواجبات، وتزوج النبي ﷺ من صفية بنت حيي – اليهودية الأصل – بعد إسلامها، في دلالة على أن المجتمع الجديد **يحتوي كل الأعراق والأصول ضمن هوية واحدة**.[63]

---

[60] الطرابلسي، أحمد. «دور العلاقات القبلية والاقتصادية في تثبيت سلطة الدولة النبوية». مجلة البحوث الإسلامية 14، عدد 2 (2022): ص 195–230.

[61] عبد الكريم، عمار. النظام السياسي في الإسلام: قراءة تحليلية في التجربة النبوية. عمان: دار المسيرة، 2014م، ص 71–159.

[62] مفتاح، فتحي غيث. «أحكام المعاهدات في الإسلام». مجلة الحق للعلوم الشرعية والقانونية 10، عدد 2 (2023): ص 157–182.

[63] زاهد، عبد الأمير كاظم. «المعاهدات الدولية: دراسة في الأحكام والشروط». مجلة كلية الفقه 1، عدد 20 (2015): ص 66–104.

كما أن نظام التكافل الاجتماعي – من زكاة وصدقات وأوقاف – جعل المدينة مجتمعًا مستقرًا خاليًا من الفقر المدقع أو التهميش الاجتماعي. لقد أصبح الإسلام مشروعًا حضاريًا يوازن بين **المادة والروح**، ويجعل من العدالة الاجتماعية أحد أعمدة الهوية الإسلامية.

المطلب الرابع: الإرث السياسي والجغرافي للدولة النبوية في العصور اللاحقة

إن الدولة النبوية في المدينة المنورة لم تكن مجرد تجربة تاريخية عابرة، بل شكلت **النموذج المؤسس** الذي استلهمته كل الدول الإسلامية عبر العصور، سواء في بنيتها السياسية أو في جغرافيتها الإقليمية، ولقد أرست الدولة النبوية الأسس الكبرى لنظام الحكم في الإسلام، ومنها:[64]

1. **سيادة الشريعة :**جعلت القرآن والسنة مصدر التشريع والمرجعية العليا.
2. **مبدأ الشورى :**أقرّ النبي ﷺ الشورى في إدارة الدولة، كما في قوله تعالى: {وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ}.
3. **العدل والمساواة :**كان النبي ﷺ يحكم بين الناس دون تفرقة، وقال: "لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها".
4. **المسؤولية والمحاسبة :**غرس النبي ﷺ مبدأ أن الحاكم راعٍ ومسؤول عن رعيته.

هذه المبادئ انتقلت إلى نظام **الخلافة الراشدة**، التي واصلت الرسالة السياسية للدولة النبوية، فوسّعت رقعتها وأقامت العدالة في أقاليم مترامية الأطراف. وظلت تجربة المدينة المرجع الأعلى في الفكر السياسي الإسلامي، يستلهمها الفقهاء والمؤرخون عبر القرون.

من الناحية الجيوسياسية، أسست الدولة النبوية **نواة المجال الإسلامي الأول** الذي انطلقت منه الفتوحات. فقد شكّلت المدينة المركز السياسي، ومكة المركز الديني، وشبه الجزيرة العربية القاعدة الاستراتيجية التي تربط بين العالمين الآسيوي والإفريقي. ومن هذا المثلث الجغرافي انطلقت الجيوش الإسلامية بعد وفاة النبي ﷺ لتفتح العراق والشام ومصر وفارس، وإن التحول الجغرافي الذي بدأ في المدينة لم يكن توسعًا إمبراطوريًا، بل **انتشارًا رساليًا** هدفه نقل مبادئ العدل والتوحيد إلى العالم. ولهذا ظلت الدولة الإسلامية – رغم اتساعها – مرتبطة بالمبادئ التي أرساها النبي ﷺ في المدينة: العدل، الشورى، الحرية، والمواطنة الإيمانية، ولقد تركت الدولة النبوية إرثًا حضاريًا متكاملًا أثّر في الفكر الإنساني برمّته؛ فقد أسست مفهوم الدولة الأخلاقية التي تجمع بين العقيدة والسياسة، وجعلت الإنسان محور البناء الحضاري. ومن هذا الإرث استلهم المسلمون عبر العصور مفاهيم النهضة والإصلاح، كما فعل عمر بن عبد العزيز في دولته، وصلاح الدين الأيوبي في مشروعه، والعثمانيون في وحدتهم الكبرى، وهكذا أصبح **التحول الجيوسياسي في عهد النبي** ﷺ هو المنطلق التاريخي لتشكل الهوية السياسية والحضارية للأمة الإسلامية بأكملها، ولقد كان التحول الجيوسياسي الذي أحدثه النبي ﷺ أعظم ثورة سلمية في التاريخ؛ لأنه لم يغيّر الحدود فحسب، بل غيّر الإنسان والعقل والهوية. فمن مجتمع قبلي متناحر، وواقع سياسي ممزق، واقتصاد احتكاري، صنع النبي ﷺ **أمة مؤمنة موحدة** تمتلك رؤية ورسالة ونظامًا وعدالة، وإن جوهر هذا التحول يكمن في أنه جمع بين الإيمان والتنظيم، بين العقيدة والمؤسسات، بين الروح والسياسة. ولذلك فإن أثر الدولة النبوية لم يتوقف بانتهاء عصر النبوة، بل امتدّ في الفكر والفقه والسياسة، ليشكل الوعي الحضاري للأمة الإسلامية عبر العصور، ويظل إلى اليوم مصدر إلهام لكل مشروع نهضوي إسلامي معاصر.[65]

الخاتمة

إن دراسة التحولات الجيوسياسية في عهد النبي محمد ﷺ تكشف لنا عن **مرحلة تأسيسية فريدة في التاريخ الإنساني والسياسي**، إذ لم يكن ظهور الإسلام حدثًا دينيًا فحسب، بل كان **نقطة تحوّل شاملة** غيّرت ملامح الجزيرة العربية سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا وفكريًا. فقد نجح النبي ﷺ، في ظرف زمني قصير، في بناء كيان سياسي موحد انطلق من المدينة المنورة، ليشكل نواة دولة ذات سيادة، قائمة على مبادئ العدل والتوحيد والمساواة، بعدما كانت الجزيرة العربية مسرحًا للفوضى القبلية والانقسام السياسي والفراغ الاستراتيجي.

---

(64) عابدي، لدمية. «دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائله إلى ملوك وأمراء العالم». الإحياء 21، عدد 1 (2021): ص 169–191.

(65) الفتلاوي، سهيل حسين. دبلوماسية النبي محمد (ص): دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر. بيروت: دار الفكر العربي، 2001م، ص 78–188.

لقد أظهر التحليل التاريخي أن النبي ﷺ مارس **فن القيادة السياسية والجغرافية** بوعي استراتيجي بالغ؛ فقد أحسن اختيار موقع الهجرة، وأسس نظامًا مدنيًا متكاملًا، وأدار شبكة واسعة من التحالفات والمعاهدات التي ضمنت استقرار الدولة الوليدة، ثم نقل الصراع من المستوى القبلي المحلي إلى مستوى إقليمي واسع، عبر مراسلاته إلى الملوك والقياصرة، مما أسّس لحضور عالمي مبكر للدولة الإسلامية، ومن خلال تتبع مراحل الدعوة المكية والمدنية، يتضح أن التحول الجيوسياسي لم يكن مجرد تبدل في موازين القوى العسكرية، بل **تحول في المفاهيم والبُنى الفكرية والاجتماعية**؛ إذ انتقل العرب من مرحلة العصبية إلى مرحلة الأمة، ومن الولاء للقبيلة إلى الولاء للعقيدة، ومن الفوضى إلى التنظيم، ومن التبعية للقوى الإقليمية الكبرى إلى الاستقلال السياسي والاقتصادي، وكما برهنت التجربة النبوية على أن **الإصلاح الديني لا ينفصل عن الإصلاح السياسي والاجتماعي**، وأن بناء الدولة في الإسلام يقوم على قيم الأخوة والعدالة والحرية، لا على القهر أو التوسع الإمبراطوري. ولهذا فقد أسس النبي ﷺ نموذجًا فريدًا للدولة الأخلاقية التي تجمع بين الدين والسياسة في توازن إنساني راقٍ، ولقد شكّل هذا التحول النبوي العظيم **القاعدة الجيوسياسية التي انطلقت منها الحضارة الإسلامية**، حيث امتد تأثيرها إلى العصور اللاحقة، وأنتجت نظامًا عالميًا جديدًا يقوم على التفاعل الحضاري لا الصراع، وعلى نشر القيم الإنسانية العادلة لا السيطرة المادية.

أهم النتائج

1. التحول الجيوسياسي في عهد النبي ﷺ كان تحولًا بنيويًا شاملًا شمل الجغرافيا والسياسة والاقتصاد والمجتمع، وأعاد صياغة موازين القوى في جزيرة العرب والعالم القديم.
2. نجح الإسلام في تحويل الجزيرة العربية من وحدة قبلية مفككة إلى كيان سياسي موحد له مؤسساته وقوانينه وقيادته المركزية، في سابقة لم تعرفها المنطقة من قبل.
3. ميثاق المدينة المنورة يمثل أول دستور مدني في التاريخ الإسلامي، أسس لعلاقات تعاقدية بين مكونات المجتمع على أساس المواطنة المشتركة والعدالة والمساواة، دون تمييز عرقي أو ديني.
4. الهجرة النبوية لم تكن حدثًا دينيًا فحسب، بل كانت قرارًا استراتيجيًا ذا بعد جيوسياسي، نقل مركز الدعوة من موقع الحصار في مكة إلى موقع القيادة والتأثير في المدينة.
5. التحالفات والمعاهدات النبوية أسهمت في بناء شبكة أمان سياسي مكّنت الدولة من تثبيت أركانها داخليًا ومواجهة الأخطار الخارجية بحكمة ودبلوماسية راقية.

أبرز التوصيات

1. ضرورة إعادة قراءة السيرة النبوية من منظور جيوسياسي حضاري، لفهم عبقرية النبي ﷺ في إدارة التوازنات الإقليمية والدولية، واستلهامها في الفكر السياسي المعاصر.
2. إدماج مفهوم الجغرافيا السياسية الإسلامية في الدراسات الأكاديمية الحديثة، بوصفه مدخلًا لفهم تطور الدولة والمجتمع في الإسلام من منظور واقعي واستراتيجي.
3. توسيع البحث في العلاقات الدولية في عهد النبي ﷺ، من خلال دراسة الرسائل والبعوث والمعاهدات بوصفها نواة الدبلوماسية الإسلامية الأولى.
4. تشجيع الدراسات المقارنة بين التجربة النبوية ونظريات الدولة الحديثة، لإبراز خصوصية النموذج الإسلامي في الجمع بين الأخلاق والسياسة.
5. توظيف نتائج هذه الدراسة في بناء وعي استراتيجي معاصر يستلهم مقومات القوة والوحدة من التجربة النبوية، في مواجهة تحديات التفكك والصراعات الحالية.

قائمة المصادر والمراجع

1. ابن إسحاق، محمد بن إسحاق المطلبي .*سيرة رسول الله* .تحقيق محمد حميد الله. بيروت: دار الفكر العربي، 1978م.

2. ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر .*زاد المعاد في هدي خير العباد* .بيروت: مؤسسة الرسالة، 1992م.

3. ابن سعد، محمد بن سعد الزهري .*الطبقات الكبرى* .بيروت: دار صادر، 1968م.

4. ابن كثير، إسماعيل بن عمر .*البداية والنهاية* .بيروت: دار الفكر، 1988م.

5. ابن هشام، عبد الملك بن هشام المعافري .*السيرة النبوية* .القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1375هـ/1955م.

6. البلاذري، أحمد بن يحيى .*فتوح البلدان* .بيروت: دار ومكتبة الهلال، 1991م.

7. الجابري، محمد عابد .*العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1990م. (فصل تحليلي حول المرحلة النبوية).

8. الحسني، عبد العزيز. «التحالفات القبلية في عهد النبي ﷺ ودورها في توحيد الجزيرة العربية .«*مجلة الدراسات التاريخية والحضارية* 4، عدد 2 (2020): 85-110.

9. حمودي، عبد الله .*قريش وبناء الدولة الإسلامية: قراءة في العوامل السياسية والاجتماعية* .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2016م.

10. حميد الله، محمد .*مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة* .بيروت: دار النفائس، 1407هـ/1987م.

11. الخراشي، عبد الله بن عثمان. «الملامح العامة للأحوال السياسية في العصر النبوي بعد الهجرة (1-13هـ / 622-634م) .«*المجلة العربية للآداب والدراسات الإنسانية* 9، عدد 34 (2025): 113-140.

12. خضر حيدر، علياء هادي حسن. «المفاهيم والمدلولات السياسية في الدولة الإسلامية في عهد النبي ﷺ .«*مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية*)د.ت.(

13. دروزة، محمد عزة .*سيرة الرسول محمد: عرض جديد من خلال القرآن* .بيروت: دار القلم، 1996م.

14. الربيعة، صالح بن ناصر .*السياسة الشرعية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم* .الرياض: دار عالم الكتب، 2010م.

15. زاهد، عبد الأمير كاظم. «المعاهدات الدولية: دراسة في الأحكام والشروط .«*مجلة كلية الفقه* 1، عدد 20 (2015).

16. السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله .*الروض الأنف في شرح السيرة النبوية* .بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1985م.

17. الصلابي، علي محمد .*السيرة النبوية: عرض وقائع وتحليل أحداث* .بيروت: دار المعرفة، 2001م.

18. الطبري، محمد بن جرير .*تاريخ الرسل والملوك* .بيروت: دار الكتب العلمية، 1987م.

19. الطرابلسي، أحمد. «دور العلاقات القبلية والاقتصادية في تثبيت سلطة الدولة النبوية .«*مجلة البحوث الإسلامية* 14، عدد 2 (2022): 201-228.

20. عابدي، لدمية. «دبلوماسية الرسول صلى الله عليه وسلم في رسائله إلى ملوك وأمراء العالم .«*الإحياء* 21، عدد 1 (2021): 173-186.

21. عبد الكريم، عمار .*النظام السياسي في الإسلام: قراءة تحليلية في التجربة النبوية* .عمان: دار المسيرة، 2014م.

22. عبد المجيد، صالح. «التحولات الجيوسياسية في الحجاز قبيل البعثة وأثرها في بناء الدولة النبوية .«*مجلة كلية الآداب جامعة بغداد* 65، عدد 3 (2019): 33-60.

23. الغنوشي، راشد .*الحريات العامة في الدولة الإسلامية* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1993م. (فصول عن تأسيس الدولة النبوية).

24. الفتلاوي، سهيل حسين .*دبلوماسية النبي محمد (ص): دراسة مقارنة بالقانون الدولي المعاصر* .بيروت: دار الفكر العربي، 2001م.

25. الكبيسي، محمد طالب .*النظام العسكري في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم* .بغداد: دار الحكمة، 1998م.

26. لاميلس سليّم، الحبيب موسى، ميكائيل سعيد. «نشأة الدولة الإسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعلاقتها بمفاهيم الحضارة والمدنية .«*المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية* 6، عدد 1 (2021): 121-141.

27. المباركفوري، صفي الرحمن .*الرحيق المختوم: بحث في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام* . الرياض: دار الوفاء، 2000م.

28. مفتاح، فتحي غيث. «أحكام المعاهدات في الإسلام .«*مجلة الحق للعلوم الشرعية والقانونية* 10، عدد 2 (2023): 155-170.

29. الندوي، أبو الحسن علي الحسني .*السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث* .دمشق: دار ابن كثير، 1990م.

30. الواقدي، محمد بن عمر .*كتاب المغازي* .بيروت: دار الكتب العلمية، 1989م.

المستخلص باللغة الانكليزية

This research examines the geopolitical transformations during the time of the Prophet Muhammad (peace be upon him) as a central element in understanding the establishment of the Islamic state and the formation of the balance of power in the Arabian Peninsula. The study focuses on a historical and political analysis of the Meccan and Medinan periods, reviewing the tribal and social structures, economic and trade relations, and the political and military challenges faced by the Islamic call, culminating in the establishment of the state in Medina. It also explores the role of major battles (Badr, Uhud, the Trench, and the Conquest of Mecca) and the peace treaty with the Quraysh (the Treaty of Hudaybiyyah) in reshaping the internal and regional balance of power, in addition to the diplomatic dimension of the Prophet's letters to kings and tribes.

The research highlights the impact of these transformations on the formation of Islamic identity, through the shift from tribal loyalty to loyalty to the Muslim community, the consolidation of the concept of loyalty and disavowal, and the establishment of civil, economic, and social state institutions that laid the foundation for the rigor of the political system and the stability of the state. The research also demonstrated that the Prophetic experience constituted a unique civilizational model that inspired the Muslim community in later eras, and affirmed that geopolitical shifts were not merely power struggles, but rather a comprehensive project to build a unified society based on religious values, social justice, and wise governance.

Keywords: *Geopolitical shift, Prophetic state, balance of power.*